

تأملات في مزامير الايجية

الكتاب الأول
في

صلاة الغروب لقداسة البابا شنودة

*Contemplations on the psalms
Of the sun-set prayer (vespers)
By h.h pope shenouda iii*

5th print

*Sep01988
Cairo*

الطبعة الخامسة

سبتمبر 1988

القاهرة

الكتاب : تأملات في مزامير الأجيبة (صلاة الغروب)
المؤلف : قداسة البابا شنودة الثالث
المطبعة : الخامسة سبتمبر 1988
المطبعة : الأنبا رويس (الأوفست) العباسية – القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب : 1237 / 1969 م0

ملحوظة صورة البابا شنوده

قداسة البابا شنوده

تصدير

نقدم لك في هذا الكتيب مثالا من التأمل في ثلاثة فقط من مزامير الغروب ، قصدنا أن تكون من المزامير القصيرة ، حتى يسهل عليك حفظها 0 كل ما نريده أن تتدرب على فهم كلمات الصلاة بالمزامير ، وتدخل في أعماقها ، وتفتح لها قلبك وثق أن النعمة ستفتح لك ينابيع من تأملات وقد تزيد كل يوم 000 وما هذا الكتيب إلا مجرد طرق لباب التأمل 0000 انه تأملات أُلقيت إلى جوار محاضراتنا سنة 1968 ، ونشرت مرتين من قبل 0 ونعيد طبعها بناء على طلب من فاتهم اقتنائها وقتذاك 0

شئوده الثالث

إليك رفعت عيني يا ساكن السماء

مز : 122 (123)

(إليك رفعت عيني يا ساكن السماء ،
فهاهما مثل عيون العبيد نحو أيدي مواليتهم ومثل عيني الأمة إلى أيدي سيدتها ،
كذلك أعيننا نحو الرب إلها 0000حتى يتراءف علينا ،
إرحمنا يارب إرحمنا 0 فإننا كثيرا ما امتلأنا هوانا ، وكثيرا ما امتلأت نفوسنا ،
العار أرده على المخصبين ، والهوان على المتعظمين 0هللوا)

هذا المزمور ، نلاحظ فيه أنه مزمور تذلل، تذلل أمام الله وإنسحاق 0

إنه مزمور لإنسان يرفع عينيه إلى الله ، كما يرفع العبد عينيه نحو سيده 0 ويقول له : (إننا كثيرا ما إمتلأنا هوانا ، وكثيرا ما إمتلأت نفوسنا) إمتلأنا هوانا يعنى (إمتلأنا ذلا يعنى نفس تعبانة ومنسحقة 0واقفة تكلم الله

ومن الجائز أن هذا الذى إمتلا به ، يكون أحد نوعين من الذل :

إما ذل الخطية التى أتعبت النفس 0يعنى الشياطين أذلوه ، فامتلا هوانا 0 وسقط 0 ونتيجة لهذا يحاول أن يقف أمام الله فى إنسحاق ، ويترجاه 0 وإما أنه إنسان مذلول من الأعداء والمقاومين 0 فحالما شعر بالتعب ، وامتلت نفسه هوانا ، إتجه إلى الله وقال له :

إليك رفعت عينى يا ساكن السماء

أنا إلتجأت إليك 0لست مثل آدم الذى لما أتعبه الشيطان وأذله ، فسقط ، إختبأ منك وخاف ، وابتعد عنك ! 00 لا ، بالعكس 0أنا لما أتعب وأسقط ، أرفع عينى إليك 0000

رفعت عينى إليك ، لأنى لم أجد على الأرض معونة 0000

بل وجدت تجارب وضيقات ، ووجدت التعب والألم 0فإليك رفعت عينى يا ساكن السماء ، لأن السماء فيها رحمة ، وفيها عدل من الظلم الذى على الأرض 00000وهكذا عندما تفشل النفس البشرية ، تلجئ إلى الله وتقول له : (انظر إلى ذلى ومسكنتى وارحمنى) 0أنت (معين من ليس له معين ، ورجاء من ليس له رجاء ، وعزاء صغيرى القلوب ، ميناء الذين فى العاصف) وإذ قد فشلت على الأرض ، لا أجد إلا ساكن السماء ، لأقول له :

إليك رفعت عينى :

- عندما لا أجد عوناً من البشر ، أرفع عينى إليك أنت يا من كلك محبة ، يا من لك القوة والقدرة ، لان غير المستطاع عند الناس هو مستطاع عندك (لو 18 : 27)
- وعندما أتعب من مضايقات الناس ، أرفع عينى إليك ، أنت يا مصدر العدل ، يا من تحكم للمظلومين 0 أنت الذى ترى التعب الذى أنا فيه ، والذل الذى أنا فيه ، (لأننا كثيرا ما إمتلأنا هوانا) 000
- وعندما تضغط الخطية ، ولا أجد نصرة ، ويفشل الجهاد ويشل الإرشاد ، أرفع عينى إليك ، أنت الذى من عندك المغفرة ، وأنت الذى تنضح على بزوفاك فأطهر وتتوبنى فأتوب (ار 21 : 18)

هناك أشخاص عندما تصدمهم المشاكل يفكرون فى حلما بطرق أرضية بشرية 0وهناك أشخاص

آخرون يرفعون أعينهم إلى فوق 000

لذلك ، عندما تعجز كل طرقك البشرية ، عندما يتعب ذراعى البشرى : وعندما يتخلى عنك كل أصدقاؤك البشريين أو عندما يفشلون فى معاونتك ، اصرخ حينئذ وقل : (إليك رفعت عينى يا ساكن السماء) والأفضل من هذا كله ، ألا تنتظر حتى تتعب 0 بل وفر تعبك على الأرض ،ومن بادئ الأمر ، إرفع نظرك إلى فوق ، وقل : (إليك رفعت عينى يا ساكن السماء)

إنه توجيه جميل يلفت به الأب الكاهن أنظار الشعب المصلّي أثناء القداس الإلهي ، فيقول لهم :
(أين هي قلوبكم ؟) 0000

فيجيئون جميعا : (هي عند الرب) 000 إطمئن يا أبانا الكاهن ، فنحن نأظرون إلى فوق 000 الله وحده يعلم أين تكون قلوبنا في ذلك الوقت 0 ولكننا على الأقل تذكره لازمة لنا لكي نرفع قلوبنا وعيوننا وأفكارنا إلى فوق 0000 متذكّرين قولنا إلى الأب عن ربنا يسوع المسيح نفسه (ورفع نظره إلى فوق ، إلى السماء إليك)
وفي معجزة إشباع الجموع من الخمس خبزات ، يقول عنه الكتاب أيضا :
(ورفع نظره نحو السماء) (لو 9 : 16)

تأملوا كيف أنه لما حاصرت جيوش العدو مدينة السامرة : نظر حيجزى إلى الأرض فرأى خيول العدو ومركباته ، فارتعب 0 أما اليشع رجل الله فنظر إلى فوق ، وحينئذ قال ليجزى :
(لا تخف ، لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم) (2مل 6 : 16) وإذا الجبل مملوء خيلا ومركبات نار حول اليشع 000
ليس في حالة طلب المعونة فقط نرفع أعيننا إلى ساكن السماء ، بل في كل حين ، في وقت الصلاة وفي غير وقت الصلاة ، باستمرار نجعل عيوننا متعلقة بالرب 0

صدقوني ، لو جعلنا هذا المبدأ باستمرار ، ما كنا نستطيع مطلقا أن نخطئ ، شاعرين أن الرب
أمامنا في كل حين 000

إننا نخطئ لأننا نظرانا كلها مركزة في التراب ، في الجسد وفي المادة 0 كل الذي يشغلنا هو شهوة الجسد وشهوة العين وتعظم المعيشة (1يو 2 : 16)
إن حاربتك خطية ، وأتعبتك جدا ، وعندئذ نظرت إلى فوق ، فلا بد أنك ستخجل ولا تستطيع أن تكمل الخطية 0 ستقول : (هوذا الله يراني 0 كيف أفعل هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله ؟)
(تك 39 : 9) وهكذا تنسحق نفسك ، وتخاف الله الذي يقول لك : (أنا عارف أعمالك)
(رؤ 3 : 1)

وفي نفس الوقت الذي تقول فيه وأنت منسحق : (إليك رفعت عيني يا ساكن السماء) يكون
ساكن السماء أيضا ناظرا إليك 0

لأنه هو (ساكن في الأعلى ، والناظر إلى المتواضعات) (مز 112) إن المنسحق القلوب ، هم الذين ينظر إليهم الله ، لأنه هو نفسه الذي قال : (إلى هذا أنظر : إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعدين من كلامي) (إش 66 : 2) إلى هذا المسكين المذلّول الذي لا يثق بقوته ، الذي يصرخ في كل حين : (إليك رفعت عيني يا ساكن السماء)

يا ساكن السماء :

صحيح أن ربنا الأب المحب ، المحبوب من الجميع 0 ونحن عندما نصلي نقول له : (يا أبانا) ولكن محبة الله لا تمنع ما يليق به من مهابة وتوقير 0 من أجل هذا عندما نصلي ، لا نقول فقط يا أبانا ، لكن نقول : (أبانا الذي في السموات) 000

عبارة (الذى فى السموات) تعطينا فكرة عن كرامة الله 0 وعن مهابة الله ، وعن أن أبوته لا

تمنم أنه رب والده وخالق ، وله كل مجد واکرام وعز وسجود 000

نرى أن الشاروبيم والسارافيم لا يقدرّون أن يرفعوا عيونهم إلى الله من فرط هيئته 0 فبجنّاحين يغطون وجوههم (من هيبة الله 0 ولذلك فإنّ الشماس على المذبح ، لما يتذكر هذا الموقف ، يمسك بلفافة ويبسطها أمام عينيه ، إعترافاً بأنه لا يقدر أن يرفع عينيه أمام مجد الله

عندما يهاب إنسان شخصاً ، فانه لا يجروء أن يرفع عينيه إلى وجهه 000

ولذلك فالشيخ الروحانى فى كلامه عن أدب المبتدئين فى الرهبة ، يقول عن الراهب المبتدئ : [ولا يملأ عينه من وجه إنسان] معناها أنه ينظر النظرة التى فيها شئ من الخجل والتى فيها شئ من الحياء ، بسبب هيبة من يقف أمامه

والأنبا بيجيمى السائح ، يقال عنه انه فى بادئ حياته الرهبانية فى المجمع ، قضى 28 سنة مع الشيوخ [لم يرفع عينيه خلالها ليتأمل وجه واحد منهم] كان ينظر إليهم بهيبة وخشية واستحياء يليق بالأدب 0

إذن ممكن من جهة الهيبة والتوقير لا يستطيع الإنسان أن يرفع عينيه 0 كذلك فى حالة

الخجل من الخطية لا يستطيع الإنسان أن يرفع عينيه 0

نلاحظ هذا فى الرجل العشار المنسحق النفس ، عندما دخل إلى الهيكل ليصلى ، يقول عنه الكتاب إنه (وقف من بعيد ، لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء 0 بل قرع على صدره قائلاً : اللهم إرحمنى أنا الخاطئ) (لو 18 : 13)

وإشعيا النبى لما رأى الرب على عرشه محاطاً بالسارافيم ، قال : (ويل لى إنى هلكت ، لأنى إنسان نجس الشفتين) (إش 6 : 5) ويوحنا الحبيب الذى كان يتكئ على صدر المسيح عندما رأى الرب فى سفر الرؤيا ، وقع على الأرض مثل ميت من هيبة الرب الذى كان وجهه (مثل الشمس وهى تضىء فى قوتها) (رؤ 1 : 16 ، 17)

إذن هناك أوقات فيها هيبة الله تملك الإنسان ، وينظر إلى الله كما ينظر العبيد نحو أيدي

مواليهم ، وكما تنظر الأمة نحو يدي سيدتها

فها هما مثل عيون العبيد

ولماذا تعجب من هذا ، والأمثلة كثيرة 000؟

دانيال النبى فى إحدى الرؤى التى رآها ، وأتاه جبرائيل الملاك ليفسرها له ، يقول :

(ولما جاء خفت وخررت على وجهى إلى الأرض 0 فلمسنى وأوقفنى على مقامى)

(دا 8 : 17 ، 18) 0 وبعدما شرح له الرؤيا ، ختمها النبى بقوله :

(وأنا دانيال ضعفت ونحلت أياماً ، ثم قمت وباشرت أعمال الملك)

فإن كان دانيال العظيم يحدث له هذا ، ألا يملكنا نحن الخشوع في حضرة الرب ؟! كثيرا ما كانت هيبة الرب تملك القديسين ، فيرفعون عيونهم نحوه ، مثل عيون العبيد نحو أيدي مواليتهم

إبراهيم أبو الآباء ، لما وقف يكلم الله ، قال له بنفس الإنسحاق :
(إني قد شرعت أكلم المولى ، وأنا تراب ورماد!!) (18 : 27) وهكذا في حضرة الرب شعر أنه تراب ورماد وهو خليل الله وحببيه 000

وأَيُّوب النبي في تفاهمه مع الرب ، تكلم بنفس الأسلوب وقال له :
(ها أنا حقير ، فبماذا أجابك ؟! وضعت يدي على فمي 0 مرة تكلمت فلا أجيب ، ومرتين فلا أزيد ولكنني قد نطقت بما لم أفهم ، بعجائب فوقى لم أعرفها 000 بسمع الأذن قد سمعت عنك ، والآن رأيتك عيني 0 لذلك أرفض وأندم في التراب والرماد) (40 : 4 ، 5 ، 42 : 3-6)
إن هذا النبي العظيم – مثله مثل أبينا إبراهيم – عندما وقف يكلم الله ، وجد نفسه مجرد تراب ورماد
إننا كثيرا ما نتجرباً جداً في الصلاة ، أكثر ما يجب !! بينما ينبغي أن يكون في صلاتنا عنصر

الخشوع والإنسحاق 0

إن القديس باسيليوس الكبير ، عندما شرح في نسكياته آداب الحديث مع الله ، قال :

[اختر القول اللائق ، وقل هكذا : (أباركك أيها الرب الرحوم الطويل الأناة ، لأنك تأنيت على وأنا أخطئ كل يوم 000) فإذا مجدته بتساويع من الكتب كما تقدر ، فحينئذ تبتدئ بتواضع قائلاً (أنا لا أستحق يارب أن أفتح فمي أمامك ، لأنني خاطئ جداً) قل هكذا ، حتى لو كانت سريرتك لا تبكتك على شيء من الشر 0 لأنه ليس أحد بلا خطية إلا الله وحده ، ولأننا كثيراً ما نخطئ مرات عديدة وتنساها قلوبنا [وإذا ما قلت كلاماً ، فقله بتواضع هكذا : [أشرك يارب لأنك طولت روحك على خطايي ، وأمهلتني بغير عقوبة إلى الآن ، وأنا مستحق كل عذاب في مقابل خطايي]

ومن أجمل الكلمات في عنصر الخشوع هذا (صلاة الاستعداد)

في بداية القداس الإلهي ، وفيها يقول الأب الكاهن الذي هو شفيع للناس أمام الله 000
(أيها الرب العارف قلب كل أحد ، القدوس المستريح في قديسيه 000 أنت يارب تعلم أني غير مستحق ولا مستعد ولا مستوجب 0 وليس لي وجه أن أقف وأفتح فأي أمام مجدك الأقدس بل ككثره رأفاتك أغفر لي أنا الخاطئ ، وامنحني أن أجد نعمة ورأفة في هذه الساعة) تأملوا الكلام ، وروح الإنسحاق التي فيه 000 (ليس لي وجه ، أن أقف وأفتح فأي) أما نحن فنصلي بجرأة كبيرة في كلامنا مع الله !

صحيح أن ربنا حنون ، وصحيح أن ربنا طيب ، وصحيح أن ربنا يحبنا أكثر مما تحب الأم

رضيعها 0 ولكن لا يصح – في جو هذه المحبة – أن ننسى أنفسنا ، وننسى أننا تراب ورماد 000

إننا كلما نتذلل أمام الله ، نأخذ من ربنا أكثر ، ونتمتع بمحبة ربنا بالأكثر 000 إن كان القديس بطرس الرسول لما تذكر خطيته بكى بكاءً مرّاً ، فماذا نفعل نحن إذن ؟!
هوذا المرتل لم أحس بالهوان الذي هو فيه ، صرخ قائلاً :
(إليك رفعت عيني يا ساكن السماء 0 فهاتهما مثل عيون العبيد نحو أيدي مواليتهم ، ومثل عيني الأمة نحو يدي سيدتها)

عيون العبيد :

هل مثل عيني العبد نحو يدى سيده يطلب منه شيئاً ، أو مثل عيني العبد الذليلتين المكسورتين ، اللتين لا يمكن أن ترتفعا حتى تصلا إلى وجه المولى ، بل بالكاد يصل نظرهما إلى يديه ؟000
وهكذا يقول المصلى للرب : (إليك رفعت عيني000) فماذا أقول ؟! هوذا أنا خاطئ ومسكين قدامك وغارق فى الخطية حتى أذنى 0فماذا أقول لك يارب ؟ إننى الآن صاعد إلى بيتك ،
أرثل هذا المزمور من ترانيم المصاعد 0ولكنى لا أستحق أى شئ أمامك يستد كل فم 0ليس لى وجه
أن أقف وأفتح فاه

وعندما يستند الفم ، ترتفع العينان فى مذلة أمام الله حتى من غير كلام 0وبدون كلام يفهم

الله جيداً لغة العينين 0

وبخاصة العينين اللتين تنظران إليه ،مثل عيني الأمة نحو يدى سيدتها ، فى إتهال وإنسحاق ، أو فى دموع 00

داود النبى يقول له : (إنصت إلى دموعى) (مز 39 : 12) كأن الدموع لها لغة ، ولها كلام
دموعى هذه هى فى زق عندك (مز 56 : 8) إنصت إليها ، واسمع ماذا تقول 000لأنها من عينين
مثل عيون العبيد نحو أيدي مواليتهم 0000

لماذا يقول (العبيد) ونحن أبناء ؟!

إن الله يسمينا بنين وليس عبيداً، فلماذا نقول : (مثل عيون العبيد) ؟ حتى الإبن الضال ، لم ينزع
منه لقب البنوة على الرغم من سقوطه ! فقال : (إبنى هذا ، كان ميتاً فعاش ، وكان ضالاً فوجد)
(لو 15 : 24) 0

ولقب البنوة هذا لم يطلقه الرب علينا فى العهد الجديد فقط، وإنما منذ العهد القديم أيضا 0

فيقول فى سفر إشعياء النبى : (ربيت بنين ونشأتهم 0 أما هم فعصوا على) (إش 1 : 2)
بل إن هذا اللقب أقدم من زمن إشعياء بكثير 0انظروا ماذا يقول الكتاب عن خطية البشر قبل الطوفان
إنه يقول : (رأى أبناء الله بنات الناس أنهن حسنات) (تك 6 : 2)
لماذا نقول إذن عن عيوننا المرفوعة إلى الله ، إنها عيون العبيد نحو أيدي مواليتهم ؟! سأقول لكم
لماذا :

إن المصلى يقف هنا ذليلاً أمام الله ، كخاطئ 0يقول له فى إنسحاق : (لست مستحقاً بعد أن أدعى

لك أبناً اجعلنى كأحد أجرائك) (لو 15 : 19)

أنا جئ لك يارب ، وأنا عارف أنا مين 0أنا جئ لك يا فاحص القلوب والكلى ، يا قارئ الأفكار 0أنا
قصادك مكشوف ومكشوف 0مكشوف لأنى عريان قدامك ، وكل خطاياى واضحة
وظاهرة وتتقدمنى للحكم 0عارف ضعفاتى ، وعارف نقائصى ، وعارف سقطاتى ، وعارف
نجاساتى 0عارف كل حاضرى وماضى ، ولست مستحقاً أن أدعى لك أبناً 000أنا أنظر إليك كما
ينظر العبيد إلى مواليتهم ، وكما تنظر الأمة إلى يدى سيدتها 000
إذن عنصر التذلل بسبب الخطيئة يجعلنا نستعمل هذا التعبير (عيون العبيد) على أن هناك نقطة لا
يصح أن ننساها وهى :

إن كون الرب الإله أباً لنا ، لا يمنع مطلقاً من أن يكون سيدياً 0بل إن كلمة (رب) معناها أيضا

(سيد)

وكان القديسون يصلون إلى الله ، ويقولون له أيضا يا سيد 0 وهذا واضح جداً في صلاة دانيال النبي المشهورة (د9 ا) إذ يقول للرب : (لك يا سيد البر ، أما لنا فخزى الوجوه 000 يا سيد ، لنا خزى الوجوه ، لملوكنا لرؤسائنا ولآبائنا ، لأننا أخطأنا إليك 0000 يا سيد ، حسب كل رحمتك اصرف سخطك وغضبك 000) إلى أن يقول في آخر صلاته (يا سيد اسمع ، يا سيد اغفر ، يا سيد فهل أنت يارب عندما تقول لنا يا أولادى ، ننسى أنك سيد لنا وإله ورب ؟! كلا ، إننا لا ننسى مطلقاً 0000

بل إننا نقول عنك فى صلواتنا وقرأاتنا : (ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكننا كلنا يسوع المسيح)

ليس هذا من جهتنا فقط فى صلواتنا ، بل إن السيد المسيح نفسه بعد أن غسل أرجل تلاميذه ، قال لهم : (أنتم تدعوننى معلماً وسيداً ، وحسناً تقولون لأنى أنا كذلك 0 فإن كنت – وأنا السيد والمعلم – قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض 000 الحق الحق أقول لكم انه ليس عبد أعظم من سيده 000) (يو 13 : 13 – 16)

والقديس بولس الرسول العظيم والإناء المختار ، يبتدئ رسالته إلى أهل رومية بقوله : (بولس عبد يسوع) (رو 1 : 1) فهل فى هذا قد فقد بنوته ؟! حاشا ، انه لم يفقدها 0 ولكننا أولاد لله ، وفى نفس الوقت هو سيدنا وخالقنا وربنا وإلهنا وملكننا ، ونحن عبيده 000 ولنتأمل هذه العبارة فى الأسفار المقدسة

عبارة (عبيد) :

لما ذكر الرب مثل العرس والمدعوين ، استخدم عبارة (العبيد) مرات كثيرة 0 وماذا يقصد بكلمة (عبيد) ؟ كان يقصد الأنبياء والرسل وتلاميذه القديسين ، فقال : (يشبه ملكوت السموات إنساناً ملكاً صنع عرساً لأبنه 0 وأرسل عبيده ليدعوا المدعوين إلى العرس فلم يريدوا أن يأتوا فأرسل عبيداً آخرين 0000) إلى أن يقول : (أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم 000) (مت 22 : 1 – 8)

فإذا كان الرسل والأنبياء القديسون تسموا عبيداً ، فنحن ماذا نكون ؟! كثيراً أن نرفع

عيوننا مثل عيون العبيد نحو أيدي مواليتهم ؟

وليس الرسل فقط تسموا عبيداً ، بل إن الأبرار القديسين سيقول الرب لكل واحد منهم فى اليوم الأخير (نعماً أيها العبد الصالح والأمين 0 كنت أميناً فى القليل 0 فسأقيمك على الكثير 0 أدخل إلى فرح سيدك) (مت 15 : 21 – 23) 0

فإن كان هؤلاء القديسون الذين تاجروا فى وزناتهم وربحوا ، دعوا عبيداً ، فلنرفع نحن عيوننا إلى ساكن السماء كما يرفع العبيد عيونهم نحو أيدي مواليتهم ، ويقول له كل واحد منا : أنا يارب خاطئ ومكسوف من صلاحك الذى لا يتفق مع خطيتى 0 فى كل يوم أصلى إليك وأقول : (قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت) وأنت أيها الرب القدوس تنتظر خطيتى 0 لذلك أنا مكسوف وخجلان 0

مكسوف من خطيتى عندما تواجه قداستك غير المحدودة 0 أنظر إليك وأنا خاطئ ، كما ينظر

العبيد نحو أيدي مواليتهم ، وأقول : (لست مستحقاً أن أدعى لك ابناً 000)

أنت تقول إنى إبنك ، وأنا أناديك أبانا 0 ولكن لأبد أن يكون إبنك على صورتك ومثالك 0 وأنا فقدت الصورة المقدسة التى خلقتنى بها عندما كونتتى على صورتك 0 فبماذا أخاطبك وقد كسرت وصاياك ، وأخطأت وأذنبت أمامك ؟! أنا غارق فى خجلى 0 ومركز الإبن هذا ، أنا لا أستحقه 0000

أمامنا ملك نينوى كمثال :

ماذا فعل ذلك الملك ، عندما أحس بخطيئته بعد مناداة يونان ؟ طرح صولجانه وتاجه ، وجلس على التراب والرماد وتغطى بالمسوح ، ولم يأكل شيئاً (يون 3 : 6) ما لك أيها الملك ؟ إننا نسمعه يجيب : [أنا لست أمام الله ملكاً 0 أنا أمامه لا شئ 0 أمامه أنا مجرد إنسان خاطئ ، أجلس على التراب والرماد ، وأطرح التاج والصولجان ، وأرفع عيني إلى الرب مثل عيون العبيد نحو أيدي مواليتهم ، ومثل مواليتهم ، ومثل عيني الأمة نحو يدى سيدتها أطلب رحمتك]

أنا خائف أيها الإخوة 0 اليوم تفتتح الأسفار ، وتكشف الأعمال ، وتفحص الأفكار ، كيف نغطى

وجوهنا ، أو أين نهرب ؟!

هناك قوم سيقولون للرجال غطينا وللتلال إسقطى علينا (هو 10 : 8 ، لو 23 : 30) وهناك من سوف يصرخ فى رعب وحيرة : أين أختفى من روحك ؟ ومن وجهك أين أهرب ؟! (مز 139 : 7) أفضل شئ ، هو أننى من الآن أرفع عيني فى تذلل 0 فما مثل عيون العبيد نحو أيدي مواليتهم ، ومثل عيني الأمة نحو يدى سيدتها 0 فارحمنا يا الله إرحمنا 0 لأننا كثيراً ما إمتلأنا هواناً ، وكثيراً ما إمتلأت نفوسنا 0000

حسن هذا التذلل ، وهذا الخشوع 0 علمتنا إياه الكنيسة 0

تعلمناه فى المطانيات ، حيث يسجد الإنسان سجوداً كاملاً ويحنى هامته حتى تصل إلى الأرض إلى الأرض ، ويطلب من الله طلباً ، أو يرفع إليه صلاة 0 ينحنى فى خشوع ، فى خضوع ، فى توبة ، فى تذلل ، وقد التصقت رأسه بالتراب 0000

نوع آخر من هذا التذلل ، كان موجوداً فى العقوبات الكنيسة

لم يكن مصرحاً فى القديم لكل إنسان أن يدخل الكنيسة 0 كان هناك خطاة تمنعهم القوانين من الدخول إلى بيت الرب 0 فيقف الواحد منهم على الباب يتضرع إلى الداخلين والخارجين أن يصلوا لأجله ينظر إلى باب الكنيسة كما ينظر العبيد إلى أيدي مواليتهم ، شاعراً أنه غير مستحق أن يدخل لأن المحلة يجب أن تكون مقدسة (وببيتك ينبغى التقديس يارب) وإن سمح له أن يدخل إلى خورس الباكين والتائبين ، يقف هناك كما وقف العشار فى الهيكل ، لا يجرؤ أن يرفع عينيه إلى فوق 0 فهما مثل عيون العبيد نحو أيدي مواليتهم ، ومثل عيني الأمة نحو يدى سيدتها يتابع المرتل زموره فيقول :

كذلك أعيننا نحو الرب إلهنا ، حتى يتراءف علينا :

جميلة هذه العبارة (كذلك أعيننا 000 حتى يتراءف) معناها أننى سأظل هكذا يارب ، ناظراً إليك فى تذلل وإنسحاق ، كما ينظر العبيد إلى أيدي مواليتهم 0 واستمر فى هذا الوضع إلى أن تتراءف علينا ، إلى أن أخذ طلبتى منك ، إلى أن تغسلنى فأبيض أكثر من الثلج ، وتنضح على بزوفاك فاطهر 000

هذه الطلبة تربيانا اللجاجة فى الانسحاق ، واللجاجة فى التذلل ، وكيف أن نصلى لأبد يطول باله

على ربنا لغاية ما يأخذ طلبه 000

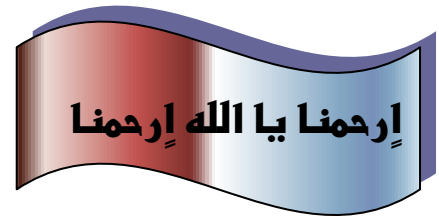
إيليا النبي الجبار الذى قال : (إنه لا يكون ظل ولا مطر فى هذه السنين إلا عند قولى)
(1مل 17 : 1) والذى أرسله الرب إلى آخاب الملك قائلاً له : (اذهب وتراء لآخاب ، فاعطى
مطراً على وجه الأرض) (1مل 18 : 1) خر على الأرض وصلى وأرسل غلامه فلم يكن مطر
فصلى النبي للمرة الثانية ولم ينزل المطر وصلى للمرة الثالثة ، ولم ينزل المطر 0 وصلى للمرة
الرابعة والخامسة والسادسة ، ولم ينزل المطر 0 ولم ييأس النبي ، ورفع عينيه إلى الرب :
(ها هما مثل عيون العبيد نحو أيدي مواليتهم ومثل عيني الأمة نحو يدي سيدتها)
وصلى النبي للمرة السابعة ، وإذا (غيمة صغيرة قدر كف إنسان صاعدة من البحر) فابتهج النبي
(طيب يارب ، مبروكة منك) ثم ما لبث المطر أن انتشر وملاً الأرض 0

هناك إنسان يصلى ، ويمل بسرعة ، ويقول : أنا [أنا طلبت من أجل الموضوع ده مرة ومرتين ،

وما فبش فائدة] !!

ويفتكر أن ربنا مش عايز ! لا يا أخى ، استمر فى صلاتك ، ليس مرة واحدة ولا مرتين ، ولا عشرة
ولا عشرين ، بل صل (حتى يتراءف الله علينا) حتى تأخذ طلبتك من الرب إن يعقوب أبا الآباء
صارع مع الله وظل يصارعه حتى نال طلبته ، قائلاً له : (لا أطلقك إن لم تباركنى)
(تك 32 : 26) وهكذا قيل له إنك : جاهدت مع الله والناس وقدرت (تك 32 : 28)
فلجاهد إذن مع الله ، ولنقل له كما قال المرتل :

إرحمنا يا الله إرحمنا ، فإننا كثيراً ما إمتلأنا هواناً 000



فى بادئ الأمر كانت العينان فقط تتطلعان إلى الله ، فى ذل وانسحاق ، مثل عيون العبيد نحو أيدي
مواليهم ، إلى أن أتى هذا الإنسحاق بالنتيجة المطلوبة ، وقال الرب لتلك النفس المنسحقة
(حولي عينيك عنى ، فانهما قد غلبتاني) (نش 6 : 5) عندئذ بدأ اللسان يتكلم ، فاض من الذل الذى
هو فيه ، فقال : (إرحمنا يا الله إرحمنا ، فإننا ما إمتلأنا هواناً)

عبارة (إرحمنا) هذه ، هى أكثر عبارة مستعملة فى الكنيسة :

* أول ما يدخل الكاهن الكنيسة ، يسجد أمام الهيكل ، ثم يرفع الستر وهو يقول :

(إيليا يصون إيماس) أى إرحمنا 0

* وعندما يبدأ صلاة المزامير يقول أولاً : (إيشويس ناى نان) أى يارب إرحمنا وهكذا نبدأ الصلاة
بطلب الرحمة من الرب 0

* وكل صلاة من صلوات الأجداد نقول فى مقدمتها – بعد صلاة الشكر – المزمور الخمسين

(إرحمنى يا الله كعظيم رحمتك) ونخمتها بقطعة (إرحمنا يا الله ثم إرحمنا) فطلب الرحمة نضعه فى بداية وفى نهاية كل صلاة

* وفى كل صلاة نقول (كيريا ليصون) 41 مرة 0 ومعناها (يارب إرحمنا) ونكرر هذه العبارة مرات عديدة أثناء القداس الإلهي وفى كل صلاة من صلوات الكنيسة الطقسية 0
* وفى رفع بخور عشية ، وفى رفع بخور باكر ، تسمعون لحناً كبيراً يصليه الكاهن وهو يمسك بيده الصليب وثلاث شمعات وأوله (أفنوتى ناى نان) ومعناها يا الله إرحمنا
* وفى رفع البخور بعدما يدور الكاهن حول المذبح ثلاث مرات ، يبخر أمام الهيكل قائلاً وهو يحنى رأسه : (وأنا كمثّل كثرة رحمتك ، أدخل إلى بيتك 0 واسجد نحو هيكلك المقدس (مز : 5 : 7)

* وكثيراً ما تسمعون الكنيسة وهى تتضرع بلحن (جى ناى نان) أى (إرحمنا) تصرخ به باللغة العربية ، وبالقبطية ، وباليونانية ، متوسلة إلى كل أقنوم من الثالوث الأقدس ، قائلة : إرحمنا 0
وفى نهاية الثلاثة تقديسات نقول : (يارب إرحم ، يارب إرحم ، يارب بارك ، آمين 0 ونقول أيضاً : كرحمتك يارب ولا كخطايانا 0

ليس أمامنا يارب سوى رحمتك ، نطلبها منك عشية وباكراً ووقت الظهر وفى كل وقت ، لأنك أنت الوحيد الذى ترحم وأنت الذى تعرف ذلتنا ومسكنتنا ، وأننا كثيراً ما إمتلأنا هواناً ، وكثيراً ما إمتلأت نفوسنا 000

إن العشار بصلاته المشهورة (اللهم إرحمنى أنا الخاطئ) إستطاع أن يرجع إلى بيته مبرراً (لو : 18 : 14) فارحمنى يارب لأن كل جهادى وتعبى ، بدونك لا ينفع شيئاً 0 وأنت نفسك قد قلت : (بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً) (يو : 15 : 15) هذه الرحمة أطلبها منك يارب كل يوم ، لأننى بدونها لا أستطيع أن أعيش 0 إننى إنما أحيا برحمتك 0
(أما أنا فعلى رحمتك توكلت) (مز : 13 : 5) ولذلك فرحمتك هى موضوع تسبيحى وترتيلى 0 وكما قال داود : (بمراحم الرب أغنى) (مز : 89 : 1)

إن عبارة (إرحمنا) هى صوت إستغاثة من الإنسان الى الله 0

هى صوت إنسان لا يجد سوى هذه الرحمة يلجأ إليها ويحتمى فى أحضانها الدافئة ، الواسعة التى تسع الكل
غير أن هناك نصيحة هامة وخطيرة ، أقولها لكم ، وأحب ألا تنسوها مطلقاً ، وعليها تتوقف رحمة الرب لكم 000

نحن نقول : (إرحمنا يا الله إرحمنا) فيجبنا الرب قائلاً : (طوبى للرحماء ، لأنهم يرحمون) (مت : 5 : 7) هل تريدنى أن أرحمك ؟ إرحم غيرك 0 أما إن كنت قاسى القلب ، فلن تجد عندى رحمة 0 لأنه (بالكيل الذى به تكيلون يكال لكم) (مت : 7 : 2)
حسن يارب منك هذا الاتفاق ومادام بالكيل الذى نكيل به يكال لنا ، فنحن من الآن سوف لا نكيل للناس إلا بالرحمة 0 سنرحم كل أحد ، فى كل عمل 0 كل من يقابلنا ، وكل من يعاملنا ، سنقابله بالرحمة ، والشفقة ، والحنان ، واللفظ ، والمحبة 0 نرفعه فوق رأسنا ، ونضع أنفسنا تحت قدميه وننام مطمئنين إلى وعدك الصادق (بالكيل الذى تكيلون يكال لكم)

نعم، عندما نصلّى قائلين : إرحمنا يا الله إرحمنا) فلنسأل أنفسنا ؟ أولاً : هل نحن نرحم غيرنا حتى نستحق أن يرحمنا الله ؟

هل أجسر أن أستغيث بالرب قائلاً : (لأننا كثيراً ما إمتلأنا هواناً ، وكثيراً ما إمتلأت نفوسنا) وأنا في نفسى الوقت أهين غيرى واتعبه !! ويصرخ هذا الإنسان إلى الله بسببى قائلاً :
(إرحمنا يا الله إرحمنا 0فإننا كثيراً ما إمتلأنا هواناً) !! كلا ، إن هذا الأمر لا يليق 000طوبى للرحماء ، فإنهم يرحمون

ما أجل هذا قال الرب : (أريد رحمة لا ذبيحة) (مت 9 : 13) رحمتك لغيبرك أفضل عندى من ألف صلاة

تقدمها وأنت قاسى القلب

لذلك رفض الرب صلوات القساة 0وقال لهم : (حين تبسطون أيديكم ، أستر وجهى عنكم 0وإن أكثرتم الصلاة ، لا أسمع 0أيديكم ملأنة دماً) (إش 1 : 15)
إن السيد المسيح عندما سأله ذلك الناموسى : (من هو قريبي) شرح له مثل السامرى الصالح الذى صنع رحمة مع جريح جاز مقابله الكاهن واللاوى 000ثم ختم الرب المثل بسؤاله عن من يكون قريب ذلك الجريح ، فأجاب الناموسى (إنه الذى صنع معه الرحمة) ، فقال له الرب :
(اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا) (لو 10 : 29-37)

صدق سليمان الحكيم عندما قال إن : (الرحيم يحسن إلى نفسه) (أم 11 : 17) وفسر ذلك بأن الرحيم (يقرض الرب) (أم 19 : 17) وما معنى (يقرض الرب) ؟ معناها أنه يعطيه سلفة ، يستلمها منه فى السماء ، وعلى الأرض أيضاً 0

لذلك إملأوا الأرض رحمة 0 إملأوا الأرض حناناً 0 إملأوا الأرض حباً 0 إملأوا الأرض إشفاقاً 0 وبالكيل

الذى به تكيلون ، يكال لكم ، رحمة وحناناً وحباً وإشفاقاً 000

إن معلمنا يعقوب الرسول عندما تكلم عن الحكمة التى من فوق قال إنها مملوءة رحمة وأثماراً صالحة وقال أيضاً إنها : (مسألة مترفقة مذعنة) (يع 3 : 17)
وربنا يسوع المسيح عندما وبخ الكتبة والفريسيين ، قال لهم : (الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون ، وتركتكم أثقل الناموس) فما هو يارب أثقل الناموس ؟ ما هو أهم شئ فيه ؟ يجيب (تركتكم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان) هذا هو مركز الرحمة عند الله 000من يرحم غيره ، يرحمه الرب 0ومن لا يرحم غيره ، لا يمكن أن ينال رحمة من الرب

(من يسد أذنيه عن الصراخ المسكين ، فهو أيضاً يصرخ ولا يستجاب) (أم 21 : 13)

لقد أعطانا السيد الرب مثل ذلك العبد الذى كان مديوناً لسيدته بعشرة آلاف وزنة ، وإذ لم يكن له ما يوفيه (تحنن سيد ذلك العبد ، وأطلقه ، وترك له الدين) ولكن هذا العبد الرديء لما أخذ زميلاً مديوناً له وألقاه فى السجن ، حينئذ غضب عليه سيده وسلمه للمعذبين قائلاً له :

(أما كان ينبغى أنك أنت أيضاً ترحم العبد رفيقك ، كما رحمتك أنا ؟!) (مت 18 : 23)

وهكذا فإن هذا العبد الشرير فقد الرحمة التى نالها أولاً ، وطالبه سيده بالدين الذى كان قد سامحه فيه 0وكل ذلك لأنه لم يرحم رفيقه 0

إن الذى لا ترحمه أنت ، يتولاه الله برحمته وبعنايته ، ويذكر لك ذنبك من جهته 0ولعل من الأمثلة الواضحة فى سفر التكوين ، قصة يوسف الصديق 0لقد ألقاه إخوته فى البئر بغير رحمة ثم باعوه كعبد 000وبعد سنوات طويلة لما جاءوا لشراء قمح من مصر ، وقعوا فى يد وزيرها (ولم يكونوا على معرفة بأنه يوسف) إ نزعجوا وتذكروا خطيتهم القديمة

(وقالوا بعضهم لبعض : حقا إننا مذنبون إلى أخينا الذى رأينا ضيقة نفسه لما إسترحمنا ولم نسمع لذلك جاءت علينا هذه الضيقة 0 فأجابهم رأوبين قائلا : ألم أكلمكم قائلا : لا تأثموا بالولد وأنتم لم تسمعوا ، فهوذا دمه يطلب) (تك 42 : 21 : 22)
تذكر يا أخى هذا الكلام كله ، عندما تقول : (إرحمنا يا الله إرحمنا) وإن كنت قاسيا أو عنيفا على أحد ، إرجع وعامله برحمة ، لكى يرحمك الله 000 لأنه كما نصرخ أنت إلى الله ليرحمك من الذين أتعبوك ، يصرخ هو أيضا طالبا أن يرحمه الله منك
يقول المثل : (إرحمنا يا الله إرحمنا ، فإننا كثيرا ما إمتلأنا هوانا ، وكثيرا ما إمتلأت نفوسنا)

لأننا كثيرا ما إمتلأنا هوانا

كلمة (كثيرا) وكلمة (إمتلأنا) تدلان على مقدار الهوان الكبير الذى وقم فيه 0 يعنى يارب ،

الحكاية مش بسيطة ، دى زادت خالص وامتلأنا هوانا ، وأنت ساكت لغاية لما إمتلأنا

إن بولس الرسول عندما ذكر متاعبه فى الكرازة قال : (بمجد وهوان ، بصيت ردى وصيت حسن) (2كو 6 : 8) يعنى أنه للهوان وللصيت الردى 0 أما المثل فلا يقول هنا إنه تعرض للهوان ، وإنما إمتلأ هوانا ، وكثيرا ما حدث ، وإن هذا الهوان لم يتعرض له من الخارج ، وإنما إمتلأت به نفسه أيضا 0 ولم يجد إلا أن يعرض مذلتة على الله
وفى المزمور الأخير من صلاة الغروب يشكو من نفس الأمر فيقول : (على ظهري جلدنى الخطة وأطالوا إثمهم) ليس مجرد جلدة واحدة ، وإنما أخذوا راحتهم فى الجلد ، وأطالوا إثمهم ، فامتأنا هوانا ، وامتألت نفوسنا

هذا الهوان قد يكون أحد نوعين : إما هوان بسبب الخطية ومتاعب الشياطين وكثرة العثرات

والمثيرات ، وإما هوان بسبب ظلم الناس 000 والنوعان موجودان فى الكتاب المقدس

أما الذل والهوان الذى بسبب الخطية ، فمن أمثلته

ما ورد فى صلاة دانيال النبى إذ يقول : (لك يا سيد البر ، أما لنا فخرى الوجوه 000 لأننا أخطأنا إليك) (دا 9 : 7 ، 8) ومن أمثلة ذلك أيضا صلاة عزرا الذى وجد الشعب قد تدنس بزيجات أجنبية فقال (ولما سمعت بهذا الأمر ، مزقت ثيابى وردائى ، ونتفت شعر رأسى وذقنى 00 وقلت : اللهم إنى أخجل وأخزى من أن أرفع يا إلهى وجهى نحوك ، ؟ لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤوسنا ، وآثامنا تعاضمت إلى السماء منذ أيام آبائنا ونحن فى إثم عظيم إلى هذا اليوم) (عز 9 : 3 - 7)

هذا هو الخزى والهوان الذى بسبب الخطية ، لأن الكتاب يقول : (عار الشعوب الخطية)

(أم 14 : 34)

ولهذا يقول إرميا النبى : (نضطجع فى خزينا ، ويغطينا خجلنا ، لأننا إلى الرب إلهنا

أخطأنا 000 ولم نسمع لصوت الرب إلهنا) (إر 3 : 25) وهكذا يقول الرب — فى سفر حزقيال النبى للأمة كلها : (لكى تتذكرى فتخزى ، ولا تفتحى فاك بعد بسبب خزيك ، حين أغفر لك كل ما فعلت) (حز 16 : 63) كل هذا هوان بسبب الخطية ، لأن الخطية تجلب الخزى والعار 0 والمصلى عندما يقول فإننا كثيرا ما إمتلأنا هوانا 0 إنما يذكر أمام الله خطاياہ التى أوقعته فى العار والذل والخل ، وينسحق أمام الله بسببها 000

على أن هناك هوانا آخر ، سببه ظلم الناس واضطهادهم
وفى ذلك يقول داود النبي : (اليوم كله خجلى أمامى ، وخزى وجهى قد غطانى ، من صوت المعير
والشتائم ، من وجه عدو ومنقم) (مز 44 : 15 ، 16) ولم يكن ذلك بسبب الخطية ، إنما من أجل
الرب إذ يقول داود بعدها مباشرة : (هذا كله جاء علينا ، وما نسيناك ولاخنا عهدك لم يريد قلبنا
إلى وراء ، ولا مالت خطوتنا عن طريقك) إلى أن يقول :
(من أجلك نمت اليوم كله قد حسبنا مثل غنم للذبح) (مز 44 : 22)

**ومن أمثلة ذلك أيضا قول داود النبي : (لأنى من أجلك احتملت العار 0 غطى الخزى وجهى 0 صرت
أجنبيا عند اخوتى ، وغريبا عند بنى أُمى 0 لأن غيرة بيتك أكلتنى ، وتعابيرات معيريك**

وقعت على) (مز 69 : 7 — 9)

إذن ممكن من أجل الرب ، من أجل الحق ، ومن أجل غيرة مقدسة ، تمتلئ النفس هوانا ، وتعيرنا ،
ويغطى الخزى وجهها وهكذا عاش الأنبياء والقديسون ، يصرخون إلى الرب فى كثير من الأوقات
قائلين : (إرحمنا يا الله إرحمنا 0 فإننا كثيرا ما إمتلأنا هوانا وكثيرا ما إمتلأت نفوسنا)

وعلى العموم فهذا الهوان ، أو هذا الخزى ، يرفعه الرب عنا ، بطرق كثير ، منها : الإنسحاق

والتوبة ، وأيضا الإيمان

فمن وجهة الإنسحاق ، يقول المزمور : (لا يرجعن المنسحق خازيا) (مز 74 : 21) نعم ، لا
يمكن أن يخزى المنسحق بل أن الله يرفع عنه الخزى 0 لأنه (يقيم المسكين من التراب ، ويرفع
البائس من المزبلة ، ليجلس مع رؤساء شعبه) فإن كنت يا ؟أخى قد إمتلأت هوانا ، إنسحق أمام الله ،
فيرفع وجهك 0 إنسحق أمامه حتى يقبل صلاتك ، حينما تقول له : (إرحمنا يارب إرحمنا ، فإننا
كثيرا ما إمتلأنا هوانا)

أصعب من الخزى هنا ، الخزى فى اليوم الأخير 0 مساكين الذين يخزون فى ذلك اليوم ، حينما

تكشف الأعمال وتفحص الأفكار 000

أولئك يصرخون إلى الله قائلين : (إرحمنا يا الله إرحمنا ، فإننا كثيرا ما إمتلأنا هوانا) فيجيبهم
(الحق أقول لكم إنى لا أعرفكم) فيزدادون هوانا على هوان ، وخزيا على خزي 000
هذا الخزى فى اليوم الأخير ، وهذا الهوان ، يرفعه الرب عنا بالإيمان 0 إذ يقول الرسول :
(كل من يؤمن به لا يخزى) (رو 9 : 33) ويكررها مرة أخرى فى (رو 10 : 11) وطبعا ليس
المقصود هو مجرد الإيمان العقلى ، بل الإيمان العامل بالمحبة (غل 5 : 6) لأن الإيمان بدون
أعمال ميت (يع 2 : 26) لا يمكنه أن يمنع الخزى فى اليوم الأخير

هذا الخزى ، أو هذا الهوان ، الخاص بالخطية قد حملة الرب عنا ، لكى ننجو نحن من الهوان والخزى

وهكذا يقول عنه الرسول : (من أجل السرور الموضوع أمامه ، إحتمل الصليب مستهينا بالخزى)
(عب 12 : 2) صار عارا عند البشر ، ومحتقرا عند الشعب ، كل الذين يرونه يستهزئون به
(مز 22 : 6 ، 7) (محتقر ومخدول من الناس 000 محتقر فلم نعتد به 000 ظلم أما هو فتذلل ولم
يفتح فاه 0 كشاه تساق إلى الذبح ، وكنعجة صامته أمام جازيها ، فلم يفتح فاه
وأحصى مع أئمة (إش 53) ونحن نقول له فى القداس الغريغورى :

(إحتملت ظلم الأشرار بذلت ظهرك للسياط ، وخديك أهملت للطم 000 لم ترد وجهك عن خزي البصاق) (إش 50 : 6)

فإن قلت يا أخى فى صلاتك : (إرحمنا يا الله إرحمنا لأننا قد إمتلأنا هوانا ، تذكر حينئذ الهوان

الذى تحمله المسيح من أجلك ، وهو برئ ، وتحمله صامنا لم يفتنم فاه 000

حينئذ ستصغر ضيقاتك فى عينيك ، وحينئذ ستغير صلاتك وتقول : (إرحمنا يا الله ، فإننا قد ملأناك هوانا بسبب خطايانا ، حينما وضع عليك إثم جميعنا)

العار أردده على المخصبين ، والهوان على المتعظمين 10 لليلوبيا :

ليس معنى هذه الآية الأخيرة من المزمور أن الإنسان يطلب الشر لغيره 0 كلا ، بل إنه على رأى القديس أوغسطينوس أن المرتل قد قال هذا الكلام وأمثاله بروح النبوة ، ناظرا العار والهوان الذى ينتظر المخصبين والمتعظمين 0 أما المخصبون فهم الذين تمتعوا فى الدنيا بالراحة والسعة والغنى ، وساروا فى الطريق الواسع 0 وأما المتعظمون فهم المنتفخون بقلوبهم 0 وهؤلاء وأولئك لم يعيشوا مطلقا فى حياة الإنسحاق 0

هؤلاء المخصبون والمتعظمون ، لم يمتلأوا هوانا على الأرض ، ولم يعيشوا فى طقس لعازر

المسكين ، ولم يدخلوا من الباب الضيق ، ولم يعرفوا حياة الإتضاع ، بل قد أذلوا غيرهم على

الأرض

لذلك سيرد الرب عليهم العار الذى الحقوه بغيرهم ، والذل الذى أذلوا به كل من كان أقل منهم 0 وبالكيل الذى كالموا به للآخرين ، سيكال لهم ويزاد 0 وهؤلاء قد إستوفوا خيراتهم على الأرض عظمة وغنى وجاها وكل من إرتفع سيتضع ، ومن إتضع سيرتفع كما قال الرب 000

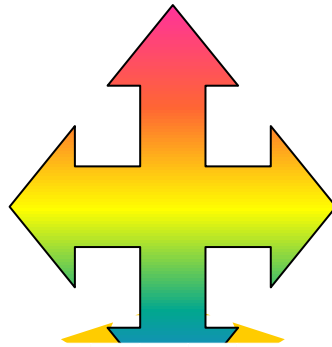
عندما تصلى يا أخى هذه الصلاة ، إحترس من أن تكون أنت أيضا من المخصبين أو من المتعظمين

تذكر أن الله أنزل الأعراء عن الكراسى ، ورفع المتضعين (أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين) كما قالت والددة الله فى تسبحتها الخالدة (لو 1 : 52 ، 53)

قل له : جيد يارب أن نمثلئ ههنا هوانا على الأرض ، ونحمل صليبنا كل يوم ، إلى أن يأتى الوقت الذى نستريح فيه فى أحضانك ، فى الموضع الذى هرب منه الحزن والكآبة والتتهد ،

حيث تمسح — بحنانك — كل دمة من عيوننا 0000

لك المجد فى محبتك ، من الآن وإلى الأبد 000



إليك يارب صرخت فى حزنى

مز 119 (120)

(إليك يارب صرخت فى حزنى ، فاستجبت لى يارب نج نفسى من الشفاعة الظالمة ومن اللسان الغاش
ماذا تعطى وماذا تزداد بإزاء اللسان الغاش ؟ سهام الأقوياء مرهفة مع جمر البرية 0
ويل لى فإن غربتى قد طالت على ، وسكنت فى مساكن قيذار 0طويلا سكنت نفسى فى الغربة 0
ومع مبغضى السلام كنت صاحب سلام
وحين كنت أكلهم كانوا يعادوننى باطلا هليلويا 0



هذا المزمور له أهمية كبيرة ، على إعتبار أنه أول المزامير التى كانوا يسمونها
(مزامير المصاعد) أو (ترانيم المصاعد) ويرتلون بها وهم صاعدون فى طريق أورشليم 0

والمفسرون الروحيون الذين يأخذون الكتاب المقدس بطريقة رمزية ، يقولون إن هذه المصاعد ترمز إلى السلم الروحي الذى يصعده الإنسان فى طريق الرب 0 ومادام مزمورنا فى هذه الليلة هو أول ترنيمات المصاعد ، إذن فهو يعطينا فكرة عن أول درجة فى السلم الروحي 0إنه يقول

إليك يارب صرخت فى حزنى

إنه شئ جميل ، هذا الذى يبدأ به المرتل مزموره 0لأنه يتكلم عن الماضى فيقول :
(إليك يارب صرخت فى حزنى ، فاستجبت لى)

فهو قبل أن يطلب أى طلب ، يذكر ربنا بالعشرة القديمة التى بينهما 0يجعل صلواته نعتمد

على الخبرة الروحية التى بينه وبين الله 0

وكأنه يقول للرب : أنا يارب لما صرخت إليك فاستجبت لى عرفت كم أنت طيب ،وكم أنت معين لأولادك ، وكم أنت مستجيب للصلوات 0ومن أجل هذا ، أتقدم إليك بطلب جديد وهو :
(نج نفسى من الشفاعة الظالمة ومن اللسان الغاش)

إنه إنسان يبني صلواته على إختباراته الروحية 0تماما كما تقول فى صلاة الشكر :
(نشرك على كل حال ، ومن أجل كل حال ، وفى كل حال ، لأنك سترتنا وأعنتنا وحفظتنا00
الخ) (من أجل هذا) 000من أجل محبتك لنا ، إذ سترتنا وأعنتنا وحفظتنا 000
(من أجل هذا ، نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر ، إمنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس)
الطلبة مبنية على خبرات فى عشرتنا لله 0000000

وأنت يا أخى المبارك ، حاول فى كل مرة يستجيب لك الرب فيها ، ويصنع معك خيرا ، أن تحتفظ

بها فى ذاكرتك وفى قلبك ، وتنضمها إلى خبراتك الروحية فى عشرتك مع الله وتجعلها مصدر

دالة فى صلواتك المقبلة ، إذ تقول لله : (من أجل هذا ، أسأل وأطلب 000)

إن داود النبى والمرتلين الآخرين الذين كتبوا المزامير ، لم ينسوا أبدا خبراتهم مع الله 0بل هوذا داود يبدأ مزموره بتذكار علاقته الماضية مع الرب فيقول : (إليك يارب صرخت فى حزنى ،

فاستجبت لى) ولعل الصاعدين إلى أورشليم — وهم يرتلون هذا المزمور — كانوا يتذكرون إحسانات الله إليهم عبر ذلك الماضى الطويل : يتذكرون شق البحر الأحمر ، وتحويل المياه المرة إلى عذبة ، وتفجير الماء من الصخر ، والمن والسلوى ، والنجاة من الأعداء
وأنت يا أخى عندما تصلى ، ماذا تتذكر فى صلاتك ؟ هل تفعل مثل الذين لا يحدثون الله إلا عن المستقبل فى صلواتهم 0وفى كل مرة يصرخ الواحد منهم إلى الله ويقول :
[عاوز ، عاوز ، عاوز] ؟!

لماذا لا تكلم الله عن ماضيه معك ؟ وتقول له : أنت يارب عملت معى كذا وكذا ، وساعدتنى فى

كذا وكذا 0000

وأنا لا يمكن أن أنسى إحساناتك الى 0 معونتك يارب ليست جديدة على ، وليست غريبة على 0 أنا
يارب إليك صرخت فى حزنى فاستجبت لى 0 من أجل هذا أسأل وأطلب 0000

إليك يارب صرخت

إليك أنت يارب صرخت ، وليس إلى سواك 0 لأن من عندك المعونة ، ومن عندك المغفرة 0 أنا لا
أكل على ذراع بشرى ، ولا أعتمد على نفسى ، فى إنى أنجى نفسى من الشفاعة الظالمة ومن
اللسان الغاش 0 وإنما إليك أنت يارب صرخت 0 أنت الوحيد الذى تسمع فى حنو ، وتعرف طلبات
القلب

ربما إذا التجأت الى الناس يخجلوننى ، أو يردوننى خائباً

أو على الأقل ينظرون الى فى إشفاق ، ويقولون : [مسكين ، ربنا يساعده] 0 أما أنت فلما صرخت
استجبت إلى 0 لذلك فأنا دائماً أتكلم عليك وليس على البشر الذين ليس عندهم خلاص 0

إليك يارب صرخت ، لأن أعدائى أقوياء ، وأنا ضعيف أمامهم

ضعيف عن مقاتلة أصغرهم 0 كم من مرة إستجمعت قوى ، وقلت لا بد أن أنتصر عليهم ، ثم خرت
فى الطريق وسقطت 0 وأخيراً صرخت إليك فى حزنى ، وفى ضيقى ، وفى عجزى ، لأن من عندك
القوة 000

ربما يأتى الشياطين ويشككون القلب قائلين : لماذا تطلب الله فى حزرك وضيقك ؟ إذن لولا

الضيقة ما كنت تطلبه ؟!

صحيح أن الصلاة مفروض أنها تكون حديث حب مع الله ، ولكن حتى هذه التى فى ضيق يقبلها الله
بل ويطلبها أيضاً ، ألم يقل : (ادعنى فى وقت الضيق ، أنقذك فتمجدنى) (مز 50 : 15) إن الله
يريدنا أن نكلمه ، ونحدث إليه ، أيا كان السبب ، وأيا كانت المناسبة 0 ليس لأنه محتاج إلى كلامنا ،
وإنما من أجلنا ، لكى يمتعنا بذاته ، ويظهر لنا محبته 000 لذلك يسر عندما
نقول له : (إليك يارب صرخت فى حزنى)

هذه العبارة الأولى فى المزمور ، كانت مجرد مقدمة ، دخل بها المرتل ليعرض على الله طلباته

فماذا طلب منه ؟

يارب نج نفسى من الشفاعة الظالمة

ومن اللسان الغاش

يارب نج نفسى 0 من الممكن أن أحتمل المتاعب والضيقات التى تصيب جسدى 0 أما الآن فإن نفسى
فى خطر ، وأريدك أن تتقدها 0 من أجل أبديتى أصرخ إليك :

(نج نفسى من الشفاعة الظالمة ومن اللسان الغاش)
فما هو الفرق بين الشفاعة الظالمة واللسان الغاش ؟
الشفاعة الظالمة هى التى تظلمك ، تتهمك إتهامات زور ، تلفق حولك إدعاءات باطلة ، تقسو عليك ،
تتسبب إليك ما ليس فيك من العيوب 0 أما اللسان الغاش ، فهو اللسان الذى يمدحك ويتملكك عن غير
حق 0 وهكذا يمكن بضربات يمين وضربات شمال يسقطك الشيطان 0

لذلك فأنت تصرخ طالبا أن ينقذك الله من الشفاعة الظالمة 0

تقول له : نج نفسى منها 0 لأنه من الجائز أن يضغط الظلم على نفسى ، فأتعب ، وربما أغضب ،
وربما أفقد محبتى للناس ، وربما أدين غيرى ، وربما ادافع عن نفسى بغباوة 0 لذلك نج نفسى من
الشفاعة الظالمة

ونجنى أيضا من اللسان الغاش ، لأنه ليس أقل خطرا منها

فاللسان المادح أو المتملق أو المرائى ، أو المتظاهر بالمحبة ، ربما يتلفنى هو أيضا من الداخل
يفقدنى تواضعى ، أو يدخل إلى عقلى أفكارا ومشاعر وإيحاءات لا تليق بقلب نقى 0000
لذلك إنقذنى من كليهما ، من ضربات اليمين وضربات اليسار 0 وانشد يارب فى أذننى أغنية الجميلة
التى تقول لى فيها :

(يسقط عن يسارك ألوف ، وعن يمينك ربوات ، وإليك لا يقتربون) (مز 91 : 7)

داود النبى تعرض للشفاعة الظالمة 0

ومن أمثلتها شمعى بن جيرا الذى كان يرشقه بالحجارة وهو يقول : (أخرج أخرج ، يا رجل الدماء ،
ورجل بليعال 0 فقد رد الرب عليك كل دماء بيت شاول الذى ملكت عوضا عنه 00وها أنت واقع
بشرك ، لأنك رجل دماء) (2صم 16 : 7 ، 8) وقبل شمعى كثيرا ما تكلم شاول الملك على داود
بشفاعة ظالمة قائلا (ابن الموت هو) (1صم 20 : 31) وكان يحاول أن يهيج يونانان عليه قائلا :
(ما دام ابن يسى حيا ، لا تثبت أنت ولا مملكتك)

وهذه الشفاعة الظالمة تعرض لها يسوع المسيح نفسه :

قالوا إنه سامرى وبه شيطان ، وقالوا إنه ببعلزبول يخرج الشياطين 0 وقالوا إنه أكل وشرب خمر
وقالوا إنه ناقض للشرعية وكاسر للسبت 0 وقالوا إنه ناقض للشرعية وكاسر للسبت 00
وقالوا إنه لا يريد أن يدفع جزية لقيصر 000 شفاعة ظالمة ، لا حد لإتهاماتها الباطلة 000
قل له : نجنى يارب من الشفاعة الظالمة ، لأنك أنت نفسك قد إختبرت ظلم الأشرار ، والحكم الذى
صدر عليك كان حكما ظالما 0 كم كان قيافا ظالما حينما مزق ثيابه قائلا عنك :
(قد جدف 0 ما حاجتنا بعد الى شهود !!) (مت 26 : 65)

وتعرض للشفاعة الظالمة أيضا ، الأنبياء والرسل والآباء القديسون :

إرميا النبى اتهم بأنه يضعف معنويات الشعب وشتموه ، وإتهموه بالكذب ، وضربوه ، وقالوا
(حق الموت على هذا الرجل لأنه قد تنبأ على هذه المدينة كما سمعتم) (إر 26 : 11)
وقالوا عنه أيضا : (هذا الرجل لا يطلب السلام لهذا الشعب بل الشر) (إر 38 : 4) وأخذوه
وألقوه فى جب فغاص فى الوحل 0

وما أكثر الشفاعة الظالمة والإتهامات الباطلة التى تعرض لها رسول عظيم كبولس الرسول 0 بل إن
قديسا عظيما جدا مثل البابا أثناسيوس الرسولى ، إتهموه بالزنا ، وبالقتل ، وبالهرطقة ، وبإتهامات
سياسية أيضا 0

ما أبشع الشفاعة الظالمة التى تلقى أفظم الاتهامات ، بمنتهى السهولة ، وبمنتهى البساطة وما أبشع الشفاعة الظالمة التى تجرم شعور الآخرين ، أو تعاملهم كما لو كانوا بغير إحساس على

الإطلاق

لذلك صرخ المرتل الى الرب قائلاً : (نج نفسى من الشفاعة الظالمة ، ومن اللسان الغاش) ذلك اللسان الغاش الذى يتملق ويرائى ، ويتظاهر بالصدقة وهو عدو 0 ويقدم النصيحة كإنسان مخلص ، وكلها سم مميت 0 ويتكلم بالمديح ، وهو يدبر المؤامرات لا تشعر مطلقاً بخوف منه ، ولا تأخذ حذرك من جهته ، بل قد تطمئن إليه جداً ، وهو يحفر لك حفراً فى الخفاء

تعرض السيد المسيح للسان الغاش ، من الشيطان ومن الناس

أتاه المجرب بلسان غاش وقال له : (إن كنت ابن الله ، فاطرح نفسك الى أسفل 0 لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك 0 فعلى أيديهم يحملونك ، لكى لا تصدم بحجر رجلك) (مت 4 : 6) ومنظر جميل رائع ، أن كل الناس فى الهيكل يشاهدون شخصاً محمولاً على أيدي الملائكة ، فيؤمنون !! إنه لسان غاش لم يقبله الرب 0

وأتاه أيضاً الفريسيون بلسان غاش ، كله مديح وملق ورياء ، لكى يصطادوه بكلمة 0 فقالوا له (يا معلم ، نعلم أنك صادق ، وتعلم طريق الله بالحق ، ولا تبالى بأحد ، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس فقل لنا ماذا تظن : أيجوز أن نعطي جزية لقيصر أم لا ؟) (مت 22 : 15 — 18) إنه لسان غاش ، يمدح — ليس إيماناً بما يقول — وإنما ليصطاد غيره بكلمة 0 لذلك أجابهم الرب على هذا المديح بقوله : (يا مراؤون ، لماذا تجربوننى ؟ 000)

من الجائز جداً أن يكون المتكلم بلسان غاش هو الشيطان نفسه ، حتى إن نطق على فم أحد من

الناس ! 000

مثال ذلك بطرس الرسول ، الذى لما سمع قول الرب عن آلامه وموته ، أخذه إليه ، وإبتدأ ينتهره قائلاً : (حاشاك يارب ، لا يكون لك هذا) (مت 16 : 22) والتفت الرب وقال لبطرس (اذهب عنى يا شيطان 0 أنت معثرة لى 0 لأنك لا تهتم بما لله ، لكن بما للناس) لذلك عندما تذكرون الشفاعة الظالمة واللسان الغاش فى صلواتكم ، إنسبوا إلى الشيطان وليس إلى الناس 000

ولكن لعل أحد يسأل : لماذا نطلب من الله أن ينجيننا من الشفاعة الظالمة ومن اللسان الغاش ؟

لماذا لا نحتمل ؟! 0000

إن ربنا يسوع المسيح (ظلم ، أما هو فتذلل ولم يفتح فاه) (إش 53 : 7) فلماذا لا نسلك مثله ؟! طبعاً المفروض أن الإنسان لما يصل إلى الكمال 0 يصل إلى الدرجة التى تموت فيها نفسه عن الكرامة وعن الهوان 0 مثل النصيحة التى وجهها القديس مقاريوس الكبير إلى أحد الرهبان إذ طلب إليه أن يذهب ويمدح الموتى ، وأن يذهب مرة أخرى ويذمهم 0 ولما لم يجيبوا عليه فى كلا الحالين ، قال له القديس : [إن أردت أن تعيش مع الله ، كن مثل هؤلاء الموتى 0 لأن الميت لا يبالي بكرامة ولا بهوان]

ولكن كما قلت لكم : نحن نتكلم عن الدرجة الأولى من سلم المصاعد التى تصعد إلى الهيكل والمرتل هنا إنسان مبتدئ ، فى أول طريقه إلى الله 0 وهو أيضاً صريح مع الله ، يشرم حاله كما هو

وكأنه يقول : أريد يارب أن أكون صريحا معك 0 لا أستطيع أن أكذب عليك وأقول إننى لا أتأثر من الشفاعة الظالمة ولا من اللسان الغاش 0 أنا إنسان ضعيف لم أصل بعد إلى درجة عدم التأثر هذه أنا يارب ضعيف ، أصلى إليك وأقول : (لا تدخلنا فى تجربة) 000 أما الأقوياء فإنهم يحسبونه كل فرح حينما يقعون فى تجارب متنوعة (يع 1: 2) ولكننى أنا صغير وضعيف ، ولم أصل بعد إلى المستوى 0 لسة بدرى على !!

نقطة أخرى : عندما أقول (نج نفسى من الشفاعة الظالمة ومن اللسان الغاش) قد أقصد : قد

يكون لسانى أنا هو اللسان الغاش ، وشفعتاى هما الشفاعة الظالمة 0

عندما نذكر هذه الطلبة فى صلواتنا ، ليت كل واحد فىنا يسأل نفسه : من من الناس قد ظلّمته ؟ ما هى ألفاظ الظلم التى خرجت من فمى ؟ وما هى الاتهامات الباطلة التى إتهمت بها بعض الناس ؟ متى أدنت أحد إدانة ظالمة ؟ متى حكمت على غيرى حكما باطلا بدون فحص ولا تحقيق ؟ متى جرحت شعور الناس بكلام قاس شديد ؟ متى أوصلت كلاما رديئا يسئ إلى إنسان 0000

على أن هذه الشفاعة الظالمة التى نظلّم بها الناس ، قد نظلّم به الله نفسه أيضا !! وما أكثر

الأمثلة :

إنسان يمرض مثلا ، فيصرخ إلى الله متذمرا : [إنت مش سايبنى ولا دقيقة أستريح] ! وجايز أن المرض لا يكون من عند الله ، بل قد يرجع إلى إهمال هذا الشخص فى صحته 000 أو تلميذ مثلا فى إمتحان ، فيصبح نحو الله بشفاعة ظالمة ويقول : [ليه بس يارب كل ستة تسقطنى وفيه تلاميذ وحشين ما بيروحوش الكنيسة ونجحوا 0 إسمعنى أنا ؟] ! ويبدأ فى أن يجدف على الله وقد يكون رسوبه راجعا إليه هو 0

إنها شفاعة ظالمة 0 لا تظلّم مجرد إنسان ، وإنما الله نفسه كل سر يحقيق بالإنسان ، ينسبه إلى

الله ، ويقول إن الله هو السبب !!

ويبدأ فى شجار مع الله أو سوء تفاهم ، أو فى سلسلة من التهديدات : بعدم الذهاب إلى الكنيسة أو عدم السلوك حسنا ، أو السير فى الطريق البطل الذى سلك فيه الذين نجحوا من الأشرار !! وأنا عندما أقول : (نج نفسى من الشفاعة الظالمة) إنما أقصد أن تتجبنى من هذا الخطأ أيضا : فلا أظلمك ، ولا أجدف على اسمك ، ولا أتهمك إتهاما باطلا ، ولا أشك فى محبتك ، ولا أشك فى حنانك ولا أفترى على عدلك ولا على قدرتك ، ولا أتكلم عليك أية كلمة بطالة 0 وباختصار ، نج نفسى من الشفاعة الظالمة

وأيضا بالنسبة إليك يارب ، نج نفسى من اللسان الغاش 000

أقول لك : (محبوب هو اسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتى) (مز 119 : 97) وأنا لا أتلو اسمك دقيقتين أو ثلاثة ! وأقول : (بللت فراشى بدموعى) (مز 6:6) وأنا لم يحدث لى شئ من هذا ! وأقول : (يا الله أنت إلهى إليك أبكر ، عطشت نفسى إليك) (مز 63: 1) وأنا لا أبكر للصلاة ، وإن قمت مبكرا أنشغل بأشياء أخرى !

ولكن على الرغم من كل هذا ، لا أريد أيها الإخوة أن أعتبر هذا لسانا غاشا 0 فالزمأبىر فيها

نواحي تعليميه 0 وليكن أمثال هذا الكلام نوعا من الوعظ ، أو نوعا من الإيحاء 0

بحيث عندما نقول هذه العبارات فى حضرة الله ، نتذكر ما ينبغى أن نعمله ، ونجد فى أعماقنا دافعا داخليا يدفعنا إلى تنفيذ ما نقول 0 تماما كما نقول فى الصلاة الربانية :

(اغفر لنا 000 كما نغفر نحن أيضا) وربما نكون فى الواقع لا نغفر 0 ولكنها ناحية تعليمية فعندما نقول هذا تبكتنا ضمائرنا ، لكى نفعل حسبما نصلى قائلين : يارب نج نفسى من الشفاعة الظالمة ومن اللسان الغاش)

لاحظوا أن اللسان الغاش أخطر من الشفاعة الظالمة 0

لأن الشفاعة الظالمة مكشوفة وظاهرة معروف أن فلان قال كلمة شتيمة أو تهمة ظالمة أما اللسان الغاش ، فإنه يتوارى وراء المحبة والإخلاص ، ويلبس ثياب الحملان 0 ولذلك فهو أكثر خطرا 0 ومن أجل هذا بعد أن قال المرتل : (نج نفسى من الشفاعة الظالمة واللسان الغاش) رجع إليه مرة أخرى وقال : (ماذا تعطى وماذا تزيد بإزاء اللسان الغاش ؟!)

لاحظوا أيضا أن هذا المرتل ، كلما يصعد ، وكلما يقترب من ديار أورشليم ومن هيكل الرب ،

حينئذ تقوى روحه وترتفع معنوياته 000

فى أول درجة كان يقول : (يارب نج نفسى من الشفاعة الظالمة ومن اللسان الغاش) ولما طلع إلى فوق ، ورتل مزامير أخرى ، استطاع أن يقول : (على ظهري جلدنى الخطاة وأطالوا إثمهم الرب صديق هو يقطع أعناق الخطاة) (مز 129 : 3) متأكدا أن أعداءه سيبيدون بمعونة الله لقد جرب معونة الله ولمسها فى طول الطريق الروحي إنه حاليا يقول فى المزمور : (يارب نج نفسى) أنا خائف ومرتعد (سهام الأقوياء مرهفة مع جمر البرية) ولكنه ما أن يرتفع فى المصاعد إلى أورشليم ، حتى يقول : (المتوكلون على الرب مثل جبل صهيون ، ولا يزول إلى الأبد) (مز 125 : 1)

أبتداً يشم نفسه ، ويشعر أن ربنا بيشغل معاه 00

لكن إحنا دلوقتى لسه فى أول درجة 0 والمرتل شاعر بضعفه 0 بيقول ربنا : يارب خلى بالك منى دا أنا لسه صغير ، ولسه ضعيف 0 ومش قد الناس دول 0 (يارب نج نفسى من الشفاعة الظالمة ومن اللسان الغاش) ثم يقول وكأنه يخاطب نفسه :

ماذا تعطى وماذا تزد بإزاء اللسان الغاش ؟!

بماذا ينفعك هذا اللسان الغاش ؟ وبماذا يفيدك ؟! عندما يتملكك الناس أو يمدحونك ، ماذا تعطى حينئذ وماذا تزد ؟! لماذا يضطرب قلبك أمام كلمة المديح ، ولا تحتلمها ؟ وأنت تعرف أنها كلمة غش ، قد أملت السياسة أو المجاملة 0 أو ربما الذى يكلمك يعرف أنك تحب هذا الكلام الحلو ، فقدمه إليك لكى يضحك عليك 0000

وأخطر ما فى الأمر أن يغير الإنسان أسلوبه فى الحياة 0 من أجل اللسان الغاش ومديحه ، أو خوفا

من الانتقاد !

قد تلبس الفتاة ملابس لا تقبلها الحشمة مطلقا ، لكن يقول لها اللسان الغاش إنها [عصرية] أو لكى لا توصف بأنها متأخرة لا تساير الموضة !! وقد يضحك إنسان على كلام لا يليق ، حتى يوصف بأنه لطيف يفهم النكتة ويستذوق المرح !! وقد يدخل فى بيته بعض آلات الترفيه المعثرة ، حتى لا يقال إن بيته ناقص فى أثاثه ، وحتى لا يقال عنه إنه متأخر ! بماذا تضرك يا آخى كلمة [متأخر] ؟ وماذا تعطى وماذا تزد عندما توصف بأنك رجل [عصرى] ومعروف أننا فى عصر مادی فاسد ؟!

تذكر أن الكتاب يقول : (لا تشاكلوا هذا الدهر)

(رو 12 : 2) أى لا تصيروا شكله ، بل إحتفظوا بشكلكم الروحي وطابعكم السامى 000 إن اللسان الغاش يريد أن يزحف داخل الكنيسة أيضا وينادى بتطوير الدين !! طبعا توجد فى الدين عقائد وروحيات ومثل وأخلاقيات لا يمكن أن تتغير 000 وهنا يسأل اللسان الغاش فى خبث :

[وهل يبقى الدين جامدا ؟] سؤال مثير 000 ولكننا نجيب بأن الدين ليس جامدا 0 إنه واسع يملأ الدنيا كلها ، ويعلو على كل شيء

ونحن نقبل كل تطور ، على أن يكون هذا التطور خاضعا لمبادئ الدين ، ولا يكون الدين خاضعا للتطور 0 فالدين القيادة 0

إننا لا نتأثر باللسان الغاش — مهما كان مثيرا — ولا نغير روحياتنا أو عقائدنا بسببه 0 ماذا نعطي وماذا نزاد بإزاء اللسان الغاش على أن اللسان الغاش قد يأتي بأسلوب آخر ، ويقول :

لماذا أنت خائف من الخطية ؟ لماذا لا تواجهها وتكون شجاعا ؟ إذن فأنت جبان وضعيف وخائف ! كن رجلا ، وتقدم وجرب 00

لا يا أخى ، احترس من هذا اللسان الغاش 0 فلس كل شيء يمكن أن تجربه 0 بل الحكمة أن تنتفع بخبرات غيرك وتجارب السابقين 0 هل يعقل أن تجرب السم ، لتعرف أهو يقتل ويميت أم لا لقد قال الرسول : (أما الشهوات الشبابية ، فاهرب منها) (2تى 2 : 22) لا تغتر باللسان الغاش إذا قال لك [أنت بطل ، لأنك ترمى نفسك فى النار ولا تحترق] ! كلا ، فإن الكتاب المقدس يقول عكس هذا ، فيسأل فى إستغراب : (يأخذ إنسان نارا فى حضنه ولا تحترق ثيابه ؟! أو يمشى إنسان على الجمر ولا تكتوى رجلاه ؟!) (أم 6 : 27 ، 28) ولا تظن الهروب جبنا 0 فإن يوسف لم يكن جبانا حينما هرب من امرأة فوطيفار 0 بل كان مثالا للطهر 0 احترس إذن من اللسان الغاش ، ومن أقواله الخاطئة عن الرجولة والشجاعة 0

فاللسان الغاش قد يصور لك القوة فى غير موضعها 000

قد يقول لك : كن رجلا ، ولا تقبل أى خدش لكرامتك : الكلمة ترددها بعشرة ، والإهانة ترددها بقلمين أو قد يقول : (لماذا تتسامح مع فلان ؟! إنه بهذا لا يقيم لك وزنا ولا كرامة 0 فكن شديدا معه ، ولا تتراخ 0 موقفك سليم) !! إنه لسان غاش فاحترس منه لأن عمق الكرامة أن تكون فى صورة الله المحب المتسامح الذى يغفر لكل 0 وعندما تتحمس لكرامتك ، إنما تكون ضعيفا مغلوبا من كبريائك !

وإن كرهت اللسان الغاش فى الآخرين ، فافكره أيضا فى نفسك

قل لنفسك ماذا تعطى وماذا تراد بإزاء اللسان الغاش ؟ أية فائدة تعود على نفسى إذا تملقت إنسانا ، أو غششته سعيا وراء رضاه ؟ إنما يهمنى أن أَرْضَى الله 0 أما الناس فلا يمكن أن أَرْضِيهم بالغش على حساب المبادئ 0 (لو كنت بعد أَرْضَى الناس فلست عبدا للمسيح) (غل 1 : 10) يا ليتنا كلما نقول هذا المزمور ، تبعد نفوسنا عن الغش وعن الرياء

إن الكتاب المقدس يصف اللسان الغاش بالسهم القتال 000

فيقول النبى : (لسانهم سهم قتال يتكلم بالغش 0 بفمه يكلم صاحبه بسلام ، وفى قلبه يضع له كميناً) (إر 9 : 8) ويقول داود : (أسنان أبناء البشر سلاح وسهام ، ولسانهم سيف مرهف) (مز 57 : 4) ولذلك فإن المرتل عندما تذكر هذه السهام المرهفة ، صرخ إلى الله قائلا :

سهام الأقوياء مرهفة مع جمر البرية

إنه يطلب معونة من الرب ، لأن أعداءه أقوياء ، وسهامهم مرهفة ، أى حامية وقائلة 0

ودائماً أولاد الله المتضعون يعتقدون فى أنفسهم أنهم ضعفاء 0 ويعرضون ضعفهم أمام الله ،

طالبين منه قوة ضد الشياطين

القديس الأنبا أنطونيوس عندما كانت الشياطين تحاربه ، كان يقول لهم فى إتضاع :
[أيها الأقوياء ، ماذا تريدون منى أنا الضعيف ؟!] وكان يقول لهم أيضا :
[أنا ضعيف عن مقاتلة أصغركم] يعنى أنا مش قدكم 0000
وداود النبى كان يقول لله : (إن الغرباء قاموا على ، والأقوياء طلبوا نفسى 0 ولم يسبقوا أن يجعلوك
أمامهم) (مز 54 : 3)
ونحن هنا نقول للرب : هؤلاء الشياطين أقوياء ، ولكنك أنت أقوى ، فاعطنا قوة من عندك ، لكى
نحاربهم بها

هؤلاء الأقوياء ، يوجهون سهامهم إلى النفس 0 وسهامهم مرهقة قوية مسنونة 00 ولكن ما

معنى (مع جمر البرية) ؟

والذى جرب فيكم السير فى البرية ، أى فى الصحراء ، وبخاصة فى وقت الظهر ، يعرف كيف
تكون الأرض ملتهبة تحت قدميه ، تشويهما 0 إن كان حافيا هاربا من عدوه 0 وما أسهل أن نسمى
الحصى الملهب فى الصحراء ، والزلط وحببات الرمل المتقدة ، بأنها : (جمر البرية) وأحيانا لا
يستطيع الإنسان أن يسير عليها من شدة انقاد حرارتها 0 وأعرف أعرابيا فقد بصره من جمر البرية
ولكن المرثل يصف هنا حالة أصعب

حالة إنسان هارب فى البرية من عدوه ، يكوى جمر البرية قدميه ، وفى نفس الوقت تلاحقه

سهام الأقوياء المرهقة 00 فينتجه إلى الله 00

إذ لا يوجد معين له فى هذه المحنة سواه ، صارخا قائلا :
(سهام الأقوياء مرهقة مع جمر البرية
ولكن إن كنت يا أخى تشعر بهذه الآلام ، فاحترس فى صلاتك لئلا تكون سهامك أنت أيضا مرهقة
على عدوك

إن كنت تطلب من الله أن ينجيك من السهام المرهقة ، فلا تكون لك سهام مرهقة توجهها إلى

الناس

سواء بلسان قاس يشوه سمعتهم أو يجرح شعورهم ، أو بمعاملة قاسية تؤذيهم ، أو بمطاردة لهم فى
حياتهم أو فى أرزاقهم أو فى عملهم 0000 إحذر لئلا يصرخ إنسان إلى الله بسببك ، طالبا أن ينجيه
الرب منك ومن سهامك المرهقة التى تشبه جمر البرية هى أيضا 0
عندما تصلى هذه الصلاة، إسأل نفسك : هل أنا ضعيف أم قوى ؟ هل أنا من الأقوياء أصحاب السهام
المرهقة ، أم من الضعفاء المساكين بالروح ، النائحين الودعاء ، المطرودين من أجل اسمه ؟

إحترس لنفسك لئلا تكون من الأقوياء أصحاب السهام المرهقة 00000

تذكر أن الله إختار ضعفاء العالم ليخزى بهم الأقوياء (1كو 1 : 27) إن كنت من الأقوياء المعتدين
بقوتهم ، المستخدمين قوتهم فى قهر الآخرين ، فاحذر لنفسك لئلا يطالبك الله بما فعلت سهامك بغيرك
شئ آخر تتذكره عندما تصلى قائلا : (سهام الأقوياء مرهقة مع جمر البرية) وهو أن تطلب من
الرب معونة تواجه بها هؤلاء الأقوياء ، وأيضا أن تكون على الدوام فى حالة إستعداد وإحتراس 0
إن كان عدوك قويا وسهامه مرهقة ، فيجب عليك أنت أن تحترس وتستعد ، وتهتم بنفسك ،

ولا ترم روحك إلى التهلكة

لأنه يقال عن الخطية إنها : (طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء) (أم 7 : 26) فاحترس يا أخى وخف ، لأن الرسول يقول : من يظن أنه قائم ، فليُنظر لئلا يسقط (1كو 10 : 12) مادامت الخطية سهامها مرهفة ، وقد طرحت كثيرين جرحى ، فلا تغتر بقوتك ، وإنما احترس لنفسك ، وابتعد عن مواضع الخطر 0 ابتعد عن مادة الخطية ابتعد عن كل إنسان يقاتلك به العدو 0) أما الشهوات الشبابية فاهرب منها (إن الرسول يقول : (اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر ، يجول ملتصقا من يبتلعه هو) (1بط 5 : 8) فاحترس يا أخى إذن واستعد : استعد بالجهد الكثير ، واستعد بالإيمان القوى والالتجاء إلى الله 0 وتسلح لأن القديس بولس الرسول يقول إن مصارعنا ليست مع دم ولحم 0 بل مع أجناد الشر الروحية (أف 6 : 12) من أجل هذا يجب أن تلبس سلاح الله الكامل لكي تقدر أن تقاوم في اليوم الشرير سهام الأقوياء المرهفة 0

لا بد أن تواجه سهام العدو ، بأسلحة روحية قوية 000000

عندما تخرج إلى الطريق في الصباح ، واجه عثرات الطريق بصلوات قوية مستمرة 0 لا تصرخ قائلا : (سهام الأقوياء مرهفة) وأنت تارك سلاحك ورفض أن تستخدمه ! إن الله قد أعطاك درعا قويا ، وأعطاك أسلحة تستطيع بها أن (تطفئ جميع سهام الشرير الملهبة) (أف 6 : 16) فلماذا لا تستخدم أسلحتك !؟

أنا متعجب منك يا أخى جدا ! كيف تعترف بأن سهام الأقوياء مرهفة ، ومع ذلك أراك خارجا من

بيتك بغير صلاة ، بغير إنجيل ، بغير تأمل ، بغير مطالعات ، بغير صراع مع الله !!

قبل أن تخرج من بيتك ، مثلما تهئ ملابسك وأدواتك ، هيئ أيضا أسلحتك الروحية 0 قل له : ما دامت سهام الأقوياء مرهفة ، فأنا لا بد يارب أن أسلح بأسلحتك قبل أن أخرج 0 أتسلح بكلمة الله القوية التي هي أمضى من كل سيف ذى حدين (عب 4 : 12) أتسلح بالإيمان ، أتسلح بالصراع مع الله ، أتسلح بالإتضاع الذى يغلب الشياطين 0 (سهام الأقوياء مرهفة مع جمر البرية) إن المرثلة عندما تذكر هذه الحروب الخارجية ، وعندما تذكر الخطية الرابضة ، وتذكر الشفاة الظالمة واللسان الغاش ، وتذكر هجمات العدو وقوته ، صرخ بعد هذا قائلا :

ويل لى فإن غربتى قد طالت على

(ويل لى فإن غربتى قد طالت على ، وسكنت فى مساكن قيذار 0 طويلا سكنت نفسى فى الغربة) (ويل لى) إنها صرخة إنسان شاعر بسوء حالته

لا تنتظر يا أخى إلى أن يقول لك الرب : (ويل لك) كما قالها للكنبة والفريسيين 0 وإنما قلها لنفسك أولا

ما أجمل قول القديس مقاريوس الكبير : [أحكم يا أخى على نفسك قبل أن يحكموا عليك] لا تنتظر حتى تسمعها كما قيلت للمدن التي لم تتب : (ويل لك يا كورزين ، ويل لك يا بيت صيدا) (مت 21 : 11) بل أسرع أنت وقل لنفسك : (ويل لى فإن غربتى قد طالت على ، وسكنت فى مساكن قيذار) أنا متغرب عن الله مدة طويلة 0 فإلى متى سأبقى فى هذه الغربة !؟

ولكن ما معنى مساكن قيذار ؟

قيذار هذا كان من بنى إسماعيل (تك 25 : 13) وكانت مساكن بنى قيذار بعيدة 0ولما ذهبوا إلى السبي ، إختلطوا بالناس هناك وسكنوا فى مساكنهم ، ومساكن قيذار كانت خياما سوداء مصنوعة من شعر الماعز الأسود لذلك فإن المعنى يقول فى نشيد الأناشيد : (سوداء 000كخيام قيذار) (نش 1 : 5)

فالمرتل هنا عندما يذكر خيام قيذار ، إنما يذكر بعدها ، وضلالها ، وغلطتها بالأمم ، وغربتها

عن شعب الله

يقولها ، وهو يشعر بسوء حالته ، ويوبخ ذاته أمام الله ويصب عليها كل الولايات 000وأنتم أيها الإخوة الأحباء ، هل ما يزال أحد منكم ساكنا فى خيام قيذار ، إن كنتم هناك فأسرعوا وأخرجوا ، إرجعوا مرة أخرى إلى أورشليم 0لئلا تبكوا على أنهار بابل ، وتعلقوا قيثارانكم على الصفصاف (ويل لى ، فإن غربتى قد طالت على) إن الذى يبعد عن الله ساعة واحدة يتعب ، فماذا أفعل أنا الضال الذى بعدت عنه شهورا وسنوات ، ماذا أفعل ؟! (ويل لى) إنها صيحة إنسان يطلقها من بعيد وهو لا يشعر بالصلة بينه وبين الله ، ولا بالدالة التى كانت له معه منذ زمان 0لا دالة ، ولا صلة ، ولا حرارة ولا روحانية 0000

وكل دقيقة تمر فى هذه الغربة كأنها دهر طويل 0لذلك يصرخ المصلى قائلا :

(طويلا سكنت نفسى فى الغربة)

إنه إما طول فى المدة ، أو شعور بطول المدة لقسوة البعد وفتور القلب 0يعترف المصلى بهذا وهو حزين ، ويعترف بهذا وهو تائر على الخطية التى أبعدته عن الله 0وكأنه يقول : أنا لا أستطيع مطلقا أن أستمر فى هذا الوضع 0كفى هذه الغربة ، وكفى هذه المدة 0أريد أن أبدأ من الآن ، فأصطح مع الله لأن البعد جفوة ، وويل لى إن بقيت فيه 000

لعل بعض القديسين عندما يقولون هذه العبارة ، لا يقصدون غربة الإنسان عن الله فى حياة

الخطية ، وإنما غربتهم فى الجسد 0

وكما قال بولس الرسول : (فإذا نحن واثقون كل حين ، وعالمون أننا ونحن مستوطنون فى الجسد ، فنحن متغربون عن الرب) (2كو 5 : 6) فهو يريد أن ينطلق من هذا الجسد ، ويلتصق بالرب : (لى إشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ، فهذا أفضل جدا) (فى 1 : 23) ويل لى ، فإن غربتى قد طالت على 0إلى متى يارب أظل فى سجن هذا الجسد ؟ وإلى متى تظل روحى سجينه المادة ؟ أريد أن أنطلق والتصق بك 0(طويلا سكنت نفسى فى الغربة ، ومع مبغضى السلام كنت صانع سلام)

ومع مبغضى السلام ، كنت صانع سلام :

إن هذه العبارة ترينا مسيحية هؤلاء القديسين الذين عاشوا فى العهد القديم ، وكيف كانوا يعيشون بالمبادئ الجميلة التى نادى بها السيد المسيح من جهة محبة الأعداء والإحسان إلى المسيئين يقول المرتل : (ومع مبغضى السلام كنت صاحب سلام 0وحين كنت أكلمهم ، كانوا يعادوننى باطلا ومع أنهم كانوا يعادوننى باطلا ، إلا أنى كنت معهم صاحب سلام !
كان شاوّل الملك يضطهد داود ، ومع ذلك كان داود بكل محبة يعامل شاوّل ويحترمه ، ويقول : (لا أمد يدي إلى سيدى ، لأنه مسيح الرب) (1صم 24 : 10) حتى استطاع داود بهذه الروح أن يجعل عينى شاوّل القاسى تتفجران بالدموع 0ويقول له شاوّل : (أنت أبر منى 0لأنك جازيتنى خيرا ، وأنا جازيتك شرا) (1صم 24 : 16 ، 17)

وعلى الرغم من مطاردة شاول لداود بعد هذا : كان داود صاحب سلام فلم يضر شاول عندما وقع في يديه ، بل على العكس استبقى له حياته ووبخ أنبیر قائد جيش شاول قائلاً لماذا لم تحرس سيدك الملك ؟ ليس حسنا هذا الأمر الذى عملت 0 حتى هو الرب أنكم أبناء الموت أنتم ، لأنكم لم تحافظوا على سيدكم ، على مسيح الرب) (1 صم 26 : 15 ، 16) عندما تتذكر هذا وأنت تصلى ، تذكر أيضا قول الرب : (إن أحببتهم الذين يحبونكم ، فأى أجر لكم ؟ إن سلمتم على إخوانكم فقط فأى فضل تصنعون ؟ (مت 5 : 46 ، 47) طوبى لصانعى السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون) (مت 5 : 9) فإن أتاك إنسان ، وقال لك فلانا عمل كذا وكذا ، فقلت له أنت : [أنا أيضا أعرف عنه أكثر من هذا بكثير 0 إنه عمل وعمل] لو قلت هذا ، فإنك تزيد النار اشتعالا ، والإشتراك مع محدثك ، إنما تضيعان هذا الإنسان الذى تتحلان وبره

أما أنت فقل : [ومع مبغضى السلام كنت صاحب سلام 0 أنا كلما أرى نارا متقدة أطفئها] فهل

أنت حقا كذلك؟

أم أنت إن وجدت نارا تضع عليها فحما وكبريتا ، وتصب عليها الجاز والبنزين ، وتزيد النار التهابا وتفرح بها كما فرح نبيرون لا يا أخى حاشا أن تكذب على الله فى صلاتك 000 بل

عندما تقول له فى الصلاة : (ومع مبغضى السلام كنت صاحب سلام) اتخذ مبدأ لك تنفذه عمليا

فى حياتك 0

مع الذين يثيرون المشاكل ، كن صاحب سلام 0 مع الذين يتكلمون فى سيرة الناس ، كن صاحب سلام مع الذين يعادونك باطلا ، كن صاحب سلام 00 وإن كنت مع كل هؤلاء تتصرف كلمة تسى إلى علاقة إنسان بشخص آخر 000 ولا تفسر تصرفات الناس

وأقوالهم تفسيراً يفسد العلاقات 000 وإن وجدت بابا مفتوحا للصالح ، فلا تعمل على إغلاقه ، ولا تعقد الأمور 000

وإن كنت مع مبغضى السلام صاحب سلام ، فمن باب أولى كن مع المسالمين مسالما 0

لا تستغل طيبة إنسان وتواضعه لتشتد عليه ، وتنتعلى ، فتضيع السلام الذى بينكما

وطوبى لصانعى السلام ، فإنهم أبناء الله يدعون 0

رفعت عينى إلى الجبال

(رفعت عينى إلى الجبال من حيث يأتى عونى 0معاونتى من عند الرب الذى صنع السماء والأرض لا يسلم رجلك للزلل 0فما ينعس حافظك هوذا لا ينعس ولا ينام حارس إسرائيل 0الرب يحفظك الرب يظل على يدك اليمنى 0فلا تحرقك الشمس بالنهار ، ولا القمر بالليل 0 الرب يحفظك من كل سوء 0الرب يحفظ نفسك 0الرب يحفظ دخولك وخروجك ، من الآن وإلى الأبد 0الليلويا 0
فى المزمور السابق شعر المرنم أنه بعيد عن الله ، فقال : (ويل لى فإن غربتى قد طال على وسكنت فى مساكن قيدار) فماذا يعمل الشخص الغريب الشاعر بغربته ؟ يبدأ فى أن يتجه إلى الله فيقول :

رفعت عينى إلى الجبال

أول خطوة تخطوها فى طريقك إلى الله ، هى أن تتجه إليه لى تأخذ منه المعونة 000
إن الجبال لها تأثيرها الكبير فى حياة الناس الروحية :
فى الكتاب المقدس نرى الجبل له تاريخه الطويل 0وغالبية البركات لها إتصال بالجبال 0السيد المسيح نفسه له علاقته الواضحة بالجبل 0وما أجمل قول يوحنا الرسول فى إنجيله :
(ومضى كل واحد إلى بيته 0أما يسوع فمضى إلى جبل الزيتون) (يو 7 : 53) 000
كان الرب يقضى غالبية الأوقات فى الجبل ، يسهر فى الجبل ، ويصلى فى الجبل ، يختلئ فى الجبل
إن الجبل يعطى للإنسان إنطلاقاً فى عبادته :
يا ليتكم تفكرون أن تتمتعوا بالجبال ، وما أروع قول مار إسحق : (إن مجرد نظر القفز ، يميت من القلب الحركات العالمية) فعندما يعيش الإنسان فى العالم ، ينشغل بمناظر العالم وأخباره وأعماله أما فى الجبل ، فإذا لا يشغله شئ ، يتفرغ حينئذ لله كذلك الجبال فى علوها تعطى فكرة عن السماوات ، لذلك يقول المرتل :

رفعت عينى إلى الجبال

إلى أى الجبال رفعت عينيك ؟ فالجبال لها تاريخها العظيم فى الكتاب المقدس 0
*هل رفعت عينيك إلى جبل جرزيم ، جبل البركة ؟ إذ كان ستة أسباط يقفون عنده ، وتتلئ البركة على الشعب من هناك 0
*أم أنت ترفع عينيك إلى جبل الزيتون ، جبل الصلاة والتأمل والإنسكاب أمام الله
*أم أنت ترفع عينيك إلى جبل الجلجثة ؟ وهو يمثل الفداء ومحبة الله للناس إذ

(هكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد)
*أم تتجه إلى جبل التجلى ؟ حيث يرى السيد المسيح مع موسى وإيليا وهم فى النور البهى رمزا للمجد الأبدى ! موسى الذى ينوب عن المتزوجين ، وإيليا الذى ينوب عن البتولين 0موسى الذى ينوب عن الودعاء ، وإيليا الذى ينوب عن الأقوياء 0موسى الذى ينوب عن حياة الخدمة ، وإيليا الذى ينوب عن حياة الوحدة والبرية 0000

- أم أنت تتجه إلى جبل الصعود ؟ حيث نرى فيه المصير الى الرفعة ، عن يمين الآب 0
 - أم تتجه الى جبل حوريب ؟ حيث قضى موسى فترة مع الرب ، مشيرا الى حياة العشرة مع الله التى إكتسب فيها وجهه بنور لم يستطع الشعب أن ينظر إليه
 - أم تتجه الى جبل سيناء ؟ حيث الشريعة وحيث وصايا الله 0أم الى الجبل الذى ألقى عليه المسيح عظته حيث رفع أفكارنا الى عمق الروحيات
 - أم تتجه الى جبل التجربة ؟ الذى يمثل الانتصار على الشيطان وكل أفكاره 0
 - أم تتجه الى جبل أراراط حيث رسا فلك نوح ، رمزا للاستقرار ورمزا للسلام ؟ أنا لم أرفع عينى الى جبل معين 0إنما رفعت عينى إلى الجبال ، الى هذه كلها ، الى كل البركات
- كل شخص يقف ليصلى ويقول : (رفعت عيني الى الجبال ، لعل تأملاته تقدم له قصة جميلة عن**

كل جبل :

جبل للبركة ، وجبل للشريعة ، وجبل للسلام ، وجبل للسلام ، وجبل للفداء ، وجبل للعشرة مع الله صحيح (أساساته فى الجبال المقدسة) (مز 86 : 1) وصحيح أيضا ما قالته العروس فى النشيد من أنها رأت الرب الإله : (ظافرا على الجبال ، قافزا على التلال) (نش 2 : 8)
يرفع الإنسان نظره إلى الجبال ، بعيدا عن صخب العالم وعن ضجيج العالم وشهواته ، ويسرح فى اللانهائية ، فى الأفق البعيد الذى لا ينتهى ، والذين ينظرون إلى الجبل يكون نظره قويا 0نظرنا ونحن فى العالم يضعف لأن بصر الإنسان كل ما يمتد يجد أمامه حائطا يعوقه ويمنع إمتداده إلى قدام أما الذى ينظر إلى الجبال ، فإن نظره يمتد إلى الأفق البعيد ، ويصبح إنسانا قوى النظر بعيدة ، يرى من بعيد ، رمزا للرؤية الروحية 00

(رفعت عيني إلى الجبال) هل إلى هذه الجبال كلها ؟ لعل المرتل يقصد الجبال المحيطة بأورشليم ، لأنه يقول فى المزمور بعد ذلك : (الجبال حولها ، والرب حول شعبه) (مز 124) وبينما المرتل فى أرض الغرب إلا أنه يشترك إلى أورشليم ، ويرفع عينيه إلى الجبال المحيطة به 0

وأنت يا أخى ، ألم تحس ذات يوم بالغبرة ، وترفع عينيك إلى الجبال ؟ أم أنت ما تزال تنظر

إلى الوادى العميق ، إلى الأرض والطين والمادة ؟

من الآن إرفع نظرك إلى فوق ، إرفع نظرك إلى الجبال من حيث يأتى عونك 000يقينا أن المرتل يدرك تماما من أين تأتية المعونة 0هو يعلم أن المعونة لا يمكن أن تأتية من الأرض ، فلذلك رفع نظره إلى فوق وقال :

معونتي من عند الرب

أنا يارب أريد أن أصل إليك ، إنني أشد هذه الترنيمة من ترانيم المصاعد التي يقولها الناس وهم صاعدون إلى أورشليم 0000

أنت الذي تقدر أن ترشدني وتوصلني 000 معونتي من عند الرب الذي صنع السماء والأرض

أنا لا أتكل على ذراع بشري في أي شيء 0

لأن (الإتكال على الرب خير من الإتكال على البشر الرجاء بالرب خير من الرجاء بالرؤساء) (مز 117) حقا ملعون من يتكل على ذراع بشر ففي كل ضيقة تصيبني في العالم أرفع عيني إلى الجبال من حيث يأتي عوني ، لا إلى الناس 0 إن ربنا نفسه ، من أجل صالح الناس نظر إلى الناس 0 فلم ينظروا إليه !! لذلك قال : (طول النهار بسطت يدي إلى شعب مقاوم ومعاند) (إش 65 : 2) إن كان الله ينظر إلى الناس فلا يستجيبون له فماذا يفعلون معنا ؟ إن كانوا قد فعلوه بالعود الرطب ، فماذا يفعلون بنا ؟

معونتي من عند الرب 000 حتى لو تقدم الناس وعاونوني ، يكون الله هو الذي سخر هؤلاء الناس

من أجلي 0

هو الذي تكلم في قلوبهم من جهتي إنه هو الذي صنع السماء والأرض ، وما تزال في يده السماء والأرض إن كان يرسل ملاكا لمساعدتي فهو الذي صنع السماء 0 وإن كان يرسل بشرا لمساعدتي فهو الذي صنع الأرض

وعندما تقول الذي صنع السماء والأرض ، تتذكر قوة الله

وإن كان عمل السموات والأرض أفلا يستطيع أن يعمل معك عملا ينقذ حياتك ؟! إن معونته غير محدودة 0 معونته أكثر مما نحتاج ، وأكثر مما نطلب ، وأكثر مما نتوقع ومما ننتظر 0 الذي يتكل على الإنسان قد يخيب إتكاله 0 أما الذي يتكل على الرب فلن يخسر 0 يقول المزمور : (أسم الرب برج حصين يركض إليه الصديق ويتمتع) (أم 13 : 10) بعدما ألقوا دانيال في جب الأسود أتى الملك (داريوس) إلى الجب باكرا جدا ليرى هل إتكال دانيال على الله استطاع أن ينجيه وقال له بصوت أسيف :

(يا دانيال عبد الله الحي ، هل إلهك الذي تعبدته دائما قدر أن ينجيك من الأسود) (دا 6 : 20) فأجاب دانيال وقال : (إلهي ملاكه وسد أفواه الأسود) حقا ، إن معونتي من عند الرب

وأنت يا أخي في كل مشاكلك — روحية كانت أم مادية — قل هكذا أيضا :

(معونتي من عند الرب)

إن تعرضت لحرب من الشياطين ، أو حرب من الناس الأشرار ، قل معونتي من عند الرب 0 إن كنت متعبا من خطية ، أو من مشاكل مادية ، قل معونتي من عند الرب 0 إن كنت متعبا من أفكار وشهوات ، أو أحلام ، قل معونتي من عند الرب الذي صنع السموات والأرض

إن المزمور عندما قال هذا ، أتمته إجابة سريعة (لا يسلم رجلك للزلل فما ينحس حافظك 0 هوذا لا

ينحس ولا ينام حارس إسرائيل)

أطمئن ، إن الله لا يسلم رجلك للزلل ، أى لا يسمح أن تسقط 0 مادمت تقول معونتي من عند الرب
فلن يسلمك الرب لأبدي الأعداء 0 كثيرون يحاولون أن يجلبوا اليأس إلى نفسك ويقولون ليس له
خلاص بإلهه 0 ولكن هذا المزمور يعطى رجاءا ويعطى سلاما ، ويعطى إطمئنانا 0 لا تخف إذن ، إن
حافظك لا ينحس ولا ينام

إن إنتكلت على إنسان ، فسيأتى وقت على هذا الإنسان ينحس فيه وينام ، وفى أثناء نومه لا

يكون حافظا لك 0 أما الرب إلهك الذى يحفظك فهو لا ينحس ولا ينام 0

إن كنت فى ضيقة ، أوعى تفكر إن ربنا نائم ومش واخذ باله 0 بل تأكد تماما أن الله يرى كل شئ
يحدث ، ويكتب أمامه سفر تذكرة 0

فى إحدى المرات كان تلاميذ المسيح مضطربين فى السفينة وعندما هاج البحر عليهم ، وظنوا أن
الرب نائم فى مؤخرة السفينة ! فأيقظوه وقالوا له : (أما يهكم أن نهلك) (مر 4 : 35 — 40) ولم
يكن نائما بل فى ذلك الوقت الذى رأوه فيه نائما بالجسد ، كان بلاهوته يحفظ البر والبحر ، ويسيطر
على السماء والأرض 0 ولكى يثبت لهم هذا قام وانتهر الريح وقال للبحر :
(إسكت وابكم ، فصار هدوء عظيم)

إن الرسول يقول : إن عدونا مثل أسد زائر يجول ملتصقا من يبتلعه 0 فكيف ينام الله وعدونا ساهر
على هلاكنا !؟

بل إن كان العدو ساهرا على هلاكنا ، فيقينا يكون الله ساهرا على خلاصنا

نكون نحن نياما ، والرب إلى جوارنا ساهر علينا ، يحرصنا ويحفظنا 0 إن طبيعته لا تنام ، وطبيعته لا
تتعب 0 وسهره علينا كناية عن عنايته ورعايته ، وعدم تركه لنا ، وعدم تخليه عنا إنما يريدنا الرب
أن نسهر معه 0

لا يسلم رجلك للزلل فما ينحس حافظك

لا يسلم رجلك للزلل ، لا يجعلك تعثر فى الطريق 0 بل حتى إن وقعت من على الجبل ، يوصى
ملائكته بك ، على أيديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك (مت 4 : 6) فليكن قلبك شديدا من
الأسباب التى تجعلنا نسقط فى الخطية ، يأسنا وشعورنا بأننا لا بد سنسقط 0 مثل شخص يقول :
(لا فائدة من جهاد فلما أتوب أقع ثانية) وهكذا فإن شعوره بأنه سيقع فى الخطيئة يجعله لذلك
فليتشد قلبك الرب يقول لك ما قاله من قبل لإرميا النبى : (لا ترتع من وجوههم لئلا أريحك أمامهم
هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة محصنة 0000) (إر 1 : 17 : 18)

إن الله لا يسلم رجلك للزلل سواء فى هذا الدهر أو فى الدهر الآتى 0

وفى هذا المعنى يقول المرتل : (إرجعنى يا نفسى إلى موضع راحتك لأن الرب قد أحسن إلى ، وأنقذ
نفسى من الموت ، وعينى من الدموع ، ورجلى من الزلل) (مز 116 : 7 : 8) ولأنه أنقذ رجلى
من الزلل تستطيع نفسى الآن أن ترجع إلى موضع راحتها بسلام 0

إن الله يسلم رجلك للزلل ، طالما حياتك فى يده 0

أما إن أسلمت بنفسك رجلك للزلل ، فإن هذا يكون عمل إرادتك وحدك 0 إن الله مستعد أن يعينك ، ولكن علينا ألا نهلك أنفسنا بأنفسنا 0

الرب يظل على يدك اليمنى

لماذا قال اليد اليمنى ؟

إن اليد اليمنى ترمز دائما للقوة ، كما ترمز للبر 0

وعندما نقول إن المسيح جلس عن يمين الآب ، إنما نعني أنه جلس في قوة الآب 0 ولم يعد محتقرا أو مخذولا من الناس 0 وهذا هو المقصود بيمين الآب لأن الله إذ هو غير محدود ، ليس له يمين ولا شمال ، بل هو مالى الكل 0

اليمين إذن ترمز للقوة وبهذا المعنى قال داود : (يمين الرب صنعت قوة 0 يمين الرب رفعتنى فلا أموت بعد بل أحيا) (مز 117) وفى سفر الرؤيا سجل يوحنا الحبيب أنه رأى الرب ممسكا فى يمينه السبعة الكواكب ، أى ملائكة السبع الكنائس (رؤ 2 : 16 ، 20) أى أنهم محفوظين فى قوته

فعندما يقول لك الوحى فى المزمور : (الرب يظل على يدك اليمنى) إنما يعنى أن الرب يظل

على قوتك 0 أى أن الرب أعطاك قوة لتنتصر وهو يحفظك فيها 0

إن الرب أعطاك سلطانا أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو 0 لكن قوتك وحدها لا تكفى ، فلا بد أن تكون فى رعاية الله وحفظه ، يظل عليها أى يحفظها ويحميها ، فلا تضربها الشمس بالنهار عندما قدم يوسف ابنه أفرام ومنسى إلى أبيه يعقوب ليباركهما ، وضع يعقوب يمينه على رأس أفرام الصغير ويساره على رأس منسى 0 وضع يديه بفطنة وباركهما 0 ولما استاء يوسف من هذا ، لأن أباه وضع يمينه على الابن الصغير وأراد أن يعكس الوضع ويجعل اليمين على البكر منسى ، أجابه يعقوب : (علمت يا أبنى علمت 000 ولكن أخاه الصغير يكون أكبر منه)

(تك 48 : 13 — 20) حقا إن وضع يديه عليهما أعطاهما بركة 0 ولكن اليمين له بركة خاصة أكبر 0 وهكذا نقول للرب عن الكنيسة : (الكرمة التى غرستها يمينك) ولم نقل يدك ، لأن اليمين لها قوة خاصة من حيث الرمز 0 وفى حفظ الله لنا ، لم يقل فقط لا يسلم رجلك للزلل ، وإنما قال أيضا يظل على يدك اليمنى 00

فما معنى كلمة يظل

الظل يعنى الرعاية ، فقديمًا كانوا يعيشون فى الجبل وفى البرية تؤذيهم الشمس ويتعبهم الحر فلا بد أن يحتاجوا إلى ظل ليحميهم 0 ولذلك نحن نقول لله : (وبظل جناحك أعتصم) (مز 17 : 8)
 كالدجاجة التى تظل على صغارها بجناحيها 0
 ومن أحسن الأمثلة للتظليل بقصد العناية والرباية ، مثل يونان النبى الذى لما ضربته الشمس فذبل أعد له الرب يقطينة لتكون ظلا على رأسه لكى يخلصه من غمه (يون 4 : 6) ولما تكلم الرب عن عظمة حبة الخردل قال : (إنها تصير شجرة عظيمة تتأوى تحت ظلها جميع طيور السماء) (مر 4 : 32)

إذن فالظل يعنى الحماية والرعاية والشفقة 0

وبذلك نقول فى المزمور : (الساكن فى ستر العلى ، فى ظل القدير يبيت) (مز 91 : 1) وتقول العروس فى النشيد : (تحت ظله إشتهيت أن أجلس) (نش 2 : 3) أى فى حمايته ورعايته ومن الأمثلة اللطيفة أنه قيل للسيدة العذراء فى البشارة : (الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تظلك) أى ترعاك وتحملك ، وتحفظك ، كما كانت السحابة تظل على الشعب فى البرية 0

فافر يا أخى إذن بعناية الرب ورعايته : رجلك لن يسلمها للزلل ، ويمنيك يظل عليها ، تعيش فى رعايته وتحت ظله 0 يظل على يدك اليمنى ، فكل ما تمتد إليه يدك تنجم فيه 0

الرب يحفظك

هذا المزمور يسميه البعض مزمور الحفظ 0 كلمة الحفظ وردت فيه ست مرات :
 (الرب يحفظك 0000 الرب يحفظك من كل سوء 0 الرب يحفظ نفسك 0 الرب يحفظ دخولك وخروجك) 0
 حقاً إن حافظ الأطفال هو الرب 0 فاحتفظ بطفولتك وضعفك أمام الرب لكى تحل عليك قوته 0 كن كطفل عاجز يلجأ لأبيه السماوى ويستظل بجناحيه ، ليحفظك الرب من كل سوء ، ويظل على يدك اليمنى 0

فلا تضربك الشمس بالنهار ولا القمر بالليل :

معروف أن الشمس تضرب بالنهار 0 يونان ضربته الشمس فذبل وطلب لنفسه الموت 0 والقمر بالليل يقول العلماء إن له ضربات هو أيضا 0
 ولكن من الناحية الروحية (لا تضربك الشمس بالنهار ولا القمر بالليل) معناها لا تقوى عليك حروب النهار ، ولا حروب الليل ، لا أفكار النهار ولا أحلام الليل ، لا مناظر النهار ولا خيالات الليل 0
 (لا تضربك الشمس بالنهار ولا القمر بالليل) أى

لا تقوى عليك الأمور التى تحدث فى النور ، ولا الأمور التى تحدث فى الظلمة 0

الأمور التى ترى علانية 0 والأمور التى تدبر فى الخفاء 0 الأعداء الظاهرون ، والأعداء المختفون 0 (لا تحرقك الشمس بالنهار ولا القمر بالليل) أى يحفظك الرب وأنت نائم 0 هو معك فى النهار وفى الليل أى طول ساعات اليوم ساعات اليوم

لا تخف من ضربة نور ، ولا من ضربة ظلام 0 لا تخف من ضربة يمين ، ولا من ضربة شمال 0

الرب يحفظك من كل سوء

(الرب يحفظك من كل سوء ، الرب يحفظ نفسك) هذا هو عمله 0إن الرب قد إنتهى من عمله فى خلق العالم ، وأصبح عمله الآن أن يحفظ العالم 0الرب يحفظك ، فلا تخف إذن ولا تشك 0ولا ترتعب إنما عش مطمئنا ، شاعرا أنك لست واقفا وحدك 0

هذا المزمور ينفع المسافرين ، وينفع الذين يسبغون فى الظلام 0أو فى طريق مرعب يخافون منه يمكنهم أن يرددوا هذا المزمور : (الرب يحفظك ، الرب يحفظ نفسك ، الرب يحفظك من كل سوء ، الرب يحفظ دخولك وخروجك) كلها حفظ 0نصيحتي لكم إذن أن تحفظوا المزامير لى تحفظكم المزامير هذا المزمور مصدر كبير للتعزية 0هناك مزامير يمكن أن تصلوها وقت الغروب ، ومزامير تصلونها وقت النوم 00000000 أما هذا المزمور فيمكنكم أن تصلوه فى كل حين 0

الرب يحفظك من كل سوء 0لا يبعد عنك التجارب ، ولكن يحفظك أثناء التجربة 0التجارب

موجودة ، والشعور موجودة ، ولكن الرب يحفظك من كل سوء

الثلاثة فتية ، سمح الرب بالقائهم فى النار ، ولكنه حفظهم داخل النار 0إنه لم يبعد عنهم التجربة فألقوهم فى الآتون ، وسار معهم داخل الآتون (دا 3: 25) ما دام الأمر هكذا ، فأنا يارب لم أعد أهتم بشئ 0حتى لو ألقيت داخل النار ، سأراك معى كما حدث للثلاثة فتية 0لاحظوا أيها الإخوة أن الرب لم يكن معهم فقط ، وإنما أكثر من كل هذا (لم تكن للنار قوة على أجسامهم ، وشعرة من رؤوسهم لم تحترق وسراويلهم لم تتغير ، ورائحة النار لم تأت عليهم) (دا 3 : 27)

ودانيال النبى ، لم يمنع الله القاءه داخل الجب ، لكنه أرسل ملاكه فسد أفواه الأسود 000حقا إن الرب يحفظ نفسك ، يحفظك من كل سوء

وبيونان النبى ، سمح الرب للحوت أن يبتلعه ، ولكنه وهو فى جوف الحوت كانت هذه العبارة تترن فى أذنيه : (الرب يحفظ نفسك ، الرب يحفظ دخولك وخروجك)

الرب يحفظ دخولك وخروجك

وهكذا حفظ الرب دخوله فى بطن الحوت ، وحفظه فى خروجه من بطن الحوت أيضا 0فما قدرت عليه أسنان الحوت ولا أمعاؤه ولا شئ من أعضائه 0 كذلك الثلاثة فتية حفظ الرب دخولهم إلى النار ، وحفظ خروجهم منها 0ودانيال النبى حفظ دخوله فى جب الأسود حفظ خروجه أيضا

كذلك أنت أيضا : إن دخلت فى ضيقة من الضيقات ، قل لنفسك الرب يحفظ دخولك وخروجك

يحفظنى فى دخولى إلى الضيقة ويحفظنى فى خروجى منها 0وإن كنت ذاهبا إلى عمل معين ، أو مقابلة أناس مهمين ، قل لنفسك : (الرب يحفظ دخولك وخروجك) وأنت خارج من بيتك ،

(الرب يحفظ دخولك وخروجك)

عمل الله هو أن يحفظك 0 ولكن ليس معنى هذا أن تضيق نفسك 0 لا ترم نفسك من على جبل لكى ما تحملك الملائكة 0

صل باستمرار قائلاً : (لا تدخلنا فى تجربة) ولكن إن دخلت فالرب يحفظ دخولك وخروجك 0 وبولس الرسول دخل السجن ، وكذلك بطرس الرسول دخل السجن ، ودخل معهما أيضا هذا المزمور يرتل به ملاك فى أذن كل منهما قائلاً : (الرب يحفظ دخولك وخروجك)

فمهما دخلت فى ضيقة ، ثق أن الرب سيدخل معك ويخرجك منها 0

كما كان الرب مع نوح عندما دخل الفلك وحفظ خروجه منه أيضا 0 وكما حفظ موسى فى بيت فرعون ولم تقو عليه الديانة الوثنية ، وكما حفظ يوسف فى بيت فوطيفار ولم تقو عليه الخطية ، وكما حفظ حزقيال ودانيال فى أرض السبى 0 كما حفظ الرب هؤلاء هو أيضا يحفظ نفسك 0

وعبارة (الرب يحفظ نفسك) فيها تعزية كبيرة 0 حتى أن تعب الجسد ، تظل النفس محفوظة وهكذا حدث لأيوب الصديق ، الجسد ضرب بالأمراض ، ولكن الرب حفظ نفس أيوب فلم يقدر عليها الشيطان ، وكذلك الشهداء والمعترفون كانت تقطع أعضاؤهم ، أما نفوسهم فكانت محفوظة فى يد الرب 0

إطمئن فأنت فى يمين الرب وفى حفظه ، نفسك على كفه ، ومن يمسك يمس حذقة عينه 000 حتى الابن الضال وهو فى كورة بعيدة كان الرب يحفظ نفسه ، وكذلك الخروف الضال حفظه الرب فى دخوله وخروجه 0

عبارة (يحفظ دخولك وخروجك) يمكن أن تعنى دخولك إلى العالم وخروجك منه ،

ويكون معناها أن يحفظك فى حياتك ومماتك ، ويكون المعنى شاملا 0 وقد تعنى أيضا بداية عمل ونهايته 0 وقد قيلت هذه العبارة أيضا فى قائمة البركات فى سفر التثنية إذ قيل : (مباركا تكون فى دخولك ومباركا تكون فى خروجك) (تث 28 : 6)

يحفظ دخولك وخروجك من الآن وإلى الأبد ، أى لا يحفظك فى هذا العالم فقط ، وإنما فى طريق

الأبدية أيضا

فعندما تخرج روحك من هذا الجسد (بعد عمر طويل) الرب يحفظ خروجك ، ويحوط عليك من الشياطين أحسن يستلقطوك فى السكة ، كما جروا وراء روح القديس مقاريوس الكبير ، ويظل يحافظ عليك إلى أن تدخل الفردوس 0

وحتى بعد أن تدخل الفردوس ، الرب يحفظ دخولك وخروجك 0

لعلك تقول : وما الذى سيخرجنى من الفردوس ، أنا لست مثل آدم المسكين ؟ كلا ، يا أخى فالفردوس مجرد مكان إنتظار ، سيخرج منه الأبرار لينتقلوا إلى النعيم الأبدى فى أورشليم السماوية وعندما تدخل ذلك النعيم ، يكون حينئذ دخولا بلا خروج فيحفظ الرب دخولك إلى الأبد 000

فہرست

صفحة

[illegible][illegible]

إليك يارب صرخت فى حزنى 47 000000000000000000000000

81 رفعت عيني إلى الجبال